عـــود الـنـــد

مجلة ثقافية فصلية

ISSN 1756-4212

الناشر: د. عدلي الهواري

العدد الفصلي 13 :: صيف 2019

ثنائية الكتاب الورقي والرقمي

الحواضر العلمية في الدولة الغزنوية



فوزية ضيف الله

بحوث :: قراءات :: نصوص

عـود الند تبدأ العام 14

المحتويات

د. عدلي الهوّاري

ثنائية الكتاب الورقي والرقمي



لا أظن أن حديث الكثير من الناس عن تفضيل الكتب الورقية سوف يتوقف. حجتهم قوية طبعا، فملمس الورق ورائحته لهما رونق لا يتوفر في الكتب الرقمية. ولكن هذا التفضيل المبرر يُهزم أمام مميزات النشر الرقمي. ولبرهنة وجهة النظر هذه سوف أسلط الضوء على عملية نشر كتاب ورقي، والمصير الذي ينتظره بعد ذلك.

ربما أمضيتَ عاما في تأليف كتاب، وأصبحت جاهزا لنشره. أولى مشكلاتك ستكون البحث عن دار نشر تقبله. في البداية ستكون واثقا أن كتابك فيه مساهمة معرفية مهمة ستجعل أكثر من دار نشر تسعى إلى نشره لك على حسابها. ولكنك سرعان ما تكتشف أنك واهم. قد يأتيك رفض نشر الكتاب على حساب الدار مكتوبا بأسلوب دبلوماسي، فيقال لك إن لجنة القراءة لم تجزه، أو أن نشر الكتاب ليس ضمن خطة النشر لهذا العام، أو شيء من هذا القبيل.

سوف تكتشف بسرعة أن الكثير من دور النشر مستعدة لأن تنشر كتابك مقابل مبلغ معين من المال. إن كنت مستعدا لدفعه، ترسل إليك دار النشر عقدا فيه القليل من الحقوق لك، والكثير من الحقوق لها. سيتركز اهتمامك الآن على اختيار دار نشر جديرة بالثقة، بمعنى أن المال الذي ستحوله إلى حسابها لن يضيع، بل سيصدر مقابله كتاب ورقي، وستحصل على عدد معين من النسخ.

بعد شهور قليلة أو كثيرة سوف تصلك حصتك من نسخ الكتاب. وستصدر أنت أو دار النشر بيانا صحافيا يعلن صدور الكتاب الجديد. وقد تكون محظوظا أو لديك الكثير من المعارف في الوسط الإعلامي، فينشر خبر صدور الكتاب

مع صورة للغلاف وأخرى لك. وستعلن في صفحتك في فيسبوك أن كتابك قد صدر، فيأتيك الكثير من التهاني.

عندما تستلم الكتاب سوف تكون قلقا وفرحا: أسباب القلق متعددة، ومنها أنك تخاف أن تكون الطباعة رديئة، وفي حال طباعة كتاب عربي في بلد أجنبي، تقلق من أن تكون صفحات الكتاب مرتبة ككتاب إنجليزي. وستفرح طبعا لأن حلمك تحقق. سوف تتفهم حديث الكثير من الناس عن تفضيل الكتاب الورقي، وستقول «معهم حق». قد تضم الكتاب، وتقبله، وتضعه تحت مخدتك، وستقرأه أكثر من مرة.

إلى الآن لم يقرأ أحد كتابك سواك. لا الذين اطلعوا على خبر صدوره قرأوه، ولا الذين هنأوك بصدوره تصفحوه.

حتى لو قامت دار النشر بتوزيع كتابك جيدا في الدول العربية، وكان بين الكتب التي تشارك بها في معارض الكتب، ستكون محظوظا إذا بيع من الكتاب بعض النسخ.

سوف تهتم بإيصال نسخ من كتابك إلى الأصدقاء وأشخاص من فئة المثقفين الذين تكنّ لهم الاحترام. ومن المحتمل كثيرا أن يطلب بعض مهنئيك بصدور الكتاب نسخة لهم. ستكون محظوظا إذا كانت أغلبية المهتمين بالاطلاع على الكتاب في مدينتك، بحيث يمكنك تسليمهم الكتاب باليد. أما إذا كانوا في دول مختلفة، فلا بد من استخدام البريد.

سوف تكتشف أن كلفة كل كتاب ترسله بالبريد أكبر من كلفة طباعة النسخة الواحدة. والأهم من ذلك، أن الكتاب لا يصل أحيانا حتى لو أرسل بالبريد المسجل. الخدمة البريدية في الدول العربية متفاوتة الجودة. بعض الدول تصل إليها الكتب المرسلة بالبريد العادي، وأخرى بالبريد المسجل فقط. ولكن بعض الكتب لا يصل.

سرعان ما ستكشف لك تجربة نشر كتاب ورقي أن المعاناة المصاحبة لها متعددة الجوانب. ستشعر أن كتابك مثل الطفل الذي يرتدي ملابس العيد، ولكنه يبقى جالسا في البيت. ورغم المبلغ الكبير الذي دفعته من أجل نشر الكتاب، وتحمل تكاليف إضافية لإرساله بالبريد، ستكون محظوظا إذا قرأه كل من حصل على نسخة منه. وستكون محظوظا أكثر لو كتب أحد عرضا له ونشره في صحيفة أو موقع ما. وإذا كانت حصتك من نسخ الكتاب كبيرة، سيتبقى لديك في البيت صندوق مليء بالكتب.

بعد أن تخوض غمار هذه التجربة، سوف تصل إلى استنتاج لا مفر منه: لو نشرت الكتاب رقميا لما اضطررت لدفع مبلغ كبير لدار النشر، ولما اضطررت للانتظار بضعة أشهر قبل صدور الكتاب، ولن تضطر للذهاب إلى مكتب البريد وإرسال نسخ من الكتاب إلى عناوين في بلدك وخارجه. الإرسال بالبريد الإلكتروني لن يكلفك شيئا، وسوف يصل خلال ثوان إلى المرسل إليه، الذي من المحتمل أن يؤكد لك استلامه، ويشكرك على إرساله.

ويمكنك أن تتيح خيار تحميل الكتاب بأن تضعه في موقع ما أو غوغل درايف. في هذه الحال، فرص توزيع كتابك أكبر بكثير من أي عملية توزيع لكتب ورقية، واحتمال أن يصل إلى أيدي قارئ أو باحث أقوى بكثير من احتمال وصول الكتاب الورقي.

الحل الممكن لتلبية رغبتك في نشر كتاب ورقي وفي الوقت نفسه توزيعه على أوسع نطاق هو إصدار الكتاب بصيغتين: ورقية ورقمية. تكون الورقية بعدد قليل (مئة مثلا). ولن تحتاج إلا نسخة رقمية واحدة ترسلها بالبريد الإلكتروني أو تجعلها متوفرة للتحميل من موقع ما. لكن هذا الحل غير متوفر بعد في الدول العربية، أو غير منتشر. دور النشر التقليدية لن تقبل أن تنشر لك الكتاب ورقيا ورقميا في وقت واحد.

مسألة نشر كتاب في نهاية المطاف أكبر وأعقد من مجرد تفضيل ملمس ورائحة الورق على القراءة باستخدام جهاز إلكتروني. قد لا تقتنع إلا بعد خوض التجربة. وستقدر أهمية توفر أي كتاب بصيغة رقمية عندما تعد بحثا له علاقة بكتاب ورقي غير متوفر في أي من مكتبات بلدك.

حنان جعيرن

الحواضر العلمية في الدولة الغزنوية

الحواضر العلمية الكبرى في الدولـة الغزنوية في الفترة ما بين 998-1041م (388-432هـ). الموضوع جزء من رسالة ماجستر حول «الحياة العلمية في الدولة الغزنوية». قدمت الرسالة ونوقشت في جامعة عمار ثليجي، الأغواط، الجزائر.

تكتسب الدراسات التاريخية المتعلقة بعصر الدويلات بالمشرق الإسلامي أهمية خاصة لدى المفكرين والباحثين نظرا لالتفاف أحداثه وغموض بعضها. وما لفت انتباهنا وأغرانا لخوض هذه الدراسة هو التاريخ العلمي للدولة الغزنوية، الحافل بجملة من العلماء المشهورين على الساحة العالمية كالبيروني والخوارزمي وغيرهما من علماء تركوا بصمتهم في صفحات التاريخ وكانوا مصدرا علميا مهما ومفيدا في الاكتشاف والبحث العلمي.

لمحة موجزة عن الدولة الغزنوية

أخذت الدولة الغزنوية اسمها من مدينة «غزنة» التي كانت عاصمة لها، إذ يعد «سبكتكين» مؤسس هذه الدولة حيث كان سبكتكين في بداية حياته غلاما لـ «ألبتكين» حاكم خراسان العسكري من قبل السامانيين[1]. لكن عندما تولى الأمير منصور بن نوح عرش بني سامان نشأ صراع بينه وبين ألبتكين يرجع سببه إلى عدم رغبة الأخير في ارتقاء سيده لتسلّم أمر الدولة السامانية[2]، وهذا أدى إلى وقوع اشتباكات بين الأمير الساماني وألبتكين الذي استقل بغزنة. وعندما فشل السامانيون في هزمه، وقعّوا معه الصلح. لكنّ المنية وافت ألبتكين سنة 352هـ/963م[3] دون تحقيقه حلم الدولة المستقلة.

بعد وفاة سبكتكين سنة 387هـ/997م تنازع ابناه إسماعيل ومحمود على كرسي الحكم، لكن الغلبة في النهاية آلت إلى محمود الذي أعطى الأمان لأخيه

إسماعيل. في هذا الوقت، اعتلى العرش الساماني منصور بن نوح، الذي أصدر قرارا بعزل محمود بن سبكتكين وعهد بولايته الى بكتوزون. لكن محمود رفض ذلك ودخل في معارك ضد السامانيين وحقق انتصارات باهرة، وخطب للخليفة العباسي القادر بالله، الذي أصدر عهدا ولقّب محمود بيمين الدولة، وأمير المؤمنين، وأمين الملة. وأتاه من بغداد بعهد خراسان واللواء والخلعة الفاخرة. وهذا ساعد على تدعيم الحكم لصالحه وزوده بالقوة في وجه مناوئيه.

حواضر الإشعاع العلمي في الدولة الغزنوية

أصبحت الدولة الغزنوية محط أنظار المسلمين التواقين للمعرفة وذلك بعد تهيئة المناخ العلمي من طرف حكامها، وجعل الدولة أرضا خصبة لظهور العلوم والآداب، فكلّ هذا كان نتيجة حتمية لبروز حواضر علمية كبرى أضحت تضاهي عاصمة الخلافة بغداد في إشعاعها الثقافي حيث أصبح كل عالم ينسب إلى الحاضرة التي تخرج منها مثل: البخاري النيسابوري، إلى آخره.

لا يكفي المجال هنا لذكر كل المراكز العلمية الرائدة في الدولة الغزنوية، لذلك سيتم ذكر أكبر الحواضر التي كان لها تأثير واضح على مسار الحركة الفكرية دون الإقلال من أهمية الحواضر غير المذكورة.

=1= غزنة

أول الحواضر، عاصمة الدولة، غزنة، التي استطاع السلطان محمود، ابن ألبتكين، جعلها أحد مراكز نشر الثقافة والوعي الديني بين الناس من خلال مؤسساته العلمية من مساجد ومدارس ومعاهد، إذ أصبحت غزنة منذ بداية القرن 4هـ/10م واحدة من أبرز حواضر الإشعاع في الشرق، فقد حرص السلطان محمود أشدّ الحرص على بناء المسجد الجامع الذي يعد القاعدة العلمية الأساسية في غزنة. وهذا يؤكده العتبي حينما يسرد لنا تفاصيل بنائه:

«لما عاد السلطان يمين الدولة أمين الأمة، كان قد أوعز باختطاط صعيد من ساحة غزنة للمسجد الجامع، ... فصب المال على الصنّاع كما صب دماء الأبطال يوم الصراع. ونقل إليه من أقطار الهند والسند جذوع توافقت قدودا ورصانة، وفرّشت ساحته بالمرمر منقولا من كل فج عميق. وقد أفرد السلطان لخاصته بيتا في المسجد مشرفا عليه مكعب البناء متناسب الزوايا والفناء»[4].

لم يكن المسجد مكانا للعبادة وحسب، بل أضاف السلطان محمود إليه مدرسة سمّاها فيحاء. وينقل العتبي لنا وصفها في قوله: «تشتمل بيوتها من

بساط الأرض إلى مناط السقوف على تصانيف الأئمة الماضين من علوم الأولين والآخرين منقولة من خزائن الملوك ينتابها فقهاء دار الملك وعلماؤها للتدريس والنظر في علوم الدين»[5].

هذا الاهتمام والتشجيع من طرف السلطان الغزنوي جعل غزنة مقصدا لمشاهير الشرق من رجال السياسة والفلسفة والشعر والعلوم الفلكية واللغات الشرقية. وأصبحت مأوى لأهل العلم والأدب من كل حدب وصوب، حيث كان البلاط الغزنوي في عهد السلطان محمود يعج بعلماء وأدباء مشهورين جاؤوا من مختلف الأمصار أمثال الغضائري، والبيروني، والفردوسي، والعنصري وغيرهم [6].

وأصبحت غزنة حاضرة علمية يعيش في كنفها آلاف الفقهاء أمثال أبو سليمان داوود بن يونس وأبو العباس التباني وغيرهما. ويصف البيروني هذا الصرح العلمي بقوله «عجزت معظم العواصم العلمية عن اللحاق بها كمجمع علمي»[7]. استطاع يمين الدولة أن يجعل غزنة عاصمة حضارية ترث ما تركته المراكز الثقافية الأخرى، وتشد الهيا رحال العلماء والأدباء والشعراء، وقوة علمية كبيرة تنافس كبريات المدن الكبرى في العالم الإسلامي مثل بغداد ودمشق والقاهرة.

=2= خراسان

لم تكن عاصمة الدولة الغزنوية المركز العلمي الوحيد فيها، بل تعددت الحواضر حيث لا تكاد ترى منطقة تخلو من علماء ومؤسسات تعليمية، فنذكر على سبيل المثال خراسان التي يصفها المقدسي فيقول: «هي أجّل الأقاليم وأكثرها أجلّة وعلّما وهي معدن الخير، ومستقّر العلم، وركن الإسلام المحكّم، وحصنه الأعظم، ملكه خير الملوك، وفيه بلغ الفقهاء درجة الملوك»[8].

ونافست عواصم خراسان الأربع عاصمة الخلافة، واستقطبت الهيا العلماء والأدباء من كل الأطراف ليكونوا في خدمة سلاطين وأمراء الدولة الغزنوية خلال القرن 4هـ/10م[9]، إذ عدت نيسابور مقصدا للعلماء والأدباء ومركزا أدبيا هاما، ونسب الهيا عدد كبير من العلماء مثل حمد بن محمد الدقاق النيسابوري (ت410هـ/1019م)، ومحمد الماوردي النيسابوري (ت422هـ/1031م) [10]، والطبيب أبو الفرج علي بن الحسين النيسابوري (ت 420هـ/1029م) الذي لقب بأبقراط الثاني[11].

=3= هراة [حيرات]

تعتبر هراة أهّم حاضرة ثقافية في الدولة الغزنوية، وعاش فيها علماء أجلاء وفقهاء مسلمين[12]، أي أنّها كانت موطن العلم والعلماء وتخرج منها آلاف الفقهاء والمحدثين والشعراء أمثال أبو عبيد الهروي الذي ألّف كتبا في الفقه والسياسة[13]، والشاعر أبو روح ظفر بن عبد الله الهروي[14].

=4= بلخ

وتعتبر بلخ من أعظم مدن خراسان، ويغلب على أهلها صفة العلم والأدب ودقة النظر في الفقه والعلوم[15]، وهذا جعلها تنافس كبريات المراكز العلمية في المشرق الإسلامي خلال العصر الغزنوي، وأصبحت بلخ تعج بالمدرسين وطلاب العلم، والدليل على ذلك ما يذكره الاصطخري في كتابه: «وأنجب أهل خراسان أهل بلخ في الفقه والدين والنظر والكلام»[16]، من أشهر علمائها عبد الله بن محمد بن صالح نافع البلخي الصيدلاني[17].

=5= مرو

مرو التي تسمّى أمّ خراسان تنقسم إلى قسمين: مرو الشاهجان والنسبة الهيا مروزي، ومرو الروذ والنسبة الهيا مروذي. تخرج منها عدد من الأعيان وعلماء الدين والأركان ما لم تخرج مدينة مثلهم[18] واليها ينسب أبو بكر القفال المروزي وحيد زمانه فقها وعلما وهو أحد أركان المذهب الشافعي [19]. وكانت صلاته سببا في تحول السلطان محمود الغزنوي إلى شافعي المذهب بعد أن كان حنفيا[20].

الحواضر العلمية في بلاد ما وراء النهر

ورثت الدولة الغزنوية في بلاد ما وراء النهر مدنا علمية طالما حققت الريادة في العصر الساماني، فقد كانت هذه المدن بغية مراد العلماء والأدباء وطلبة العلم من كل أنحاء العالم الإسلامي مثل بخارى وسمرقند وخوارزم وصغانيان وغيرها من الحواضر، حيث كانت بخارى وسمرقند في العهد الساماني الملاذ الأثير عند العلماء المسلمين على الاستمساك بأدق دقائق الشرع والسنة. لهذا ازدهرت علوم الدين في كل آسيا الغربية، وازداد تعظيم

سبكتكين لبخارى بعد أفول نجم السامانيين، وتحولّت المنطقة بعد ذلك إلى مسرح للصراع بين القراخانيين والغزنويين[21].

حينما تسلّم السلطان محمود زمام الحكم استولى على بخارى، والميراث العلمي الذي كان مزدهرا فيها[22]، والسبب راجع إلى اهتمام هذا الأخير وشغفه بالحركة العلمية. وقد نسب لبخارى علماء كثر من أشهرهم أبو عبد الله الناتلي[23] الذي كان يدعى المتفلسف، والطبيب المشهور ابن سينا الذي كان شاهدا على سقوط بخارى في يد أمير غزنة محمود[24]، واشتهر العالم النحوي أحمد بن شيث البخاري[25].

كما عدت سمرقند من أكثر الحواضر ازدهارا حيث اشتهرت بصناعة ورق الكتابة أو ما يسمى الكاغد[26]، ونسب الهيا مجموعة كبيرة من العلماء كانوا مصدر تأثير على الحركة العلمية في الدولة الغزنوية.

من المراكز التي عرفت إشعاعا علميا كبيرا ترمذ[27] فهي من أكثر أهل الصغانيان أهلا ولها مسجد وجامع وخطبة وفقهاء وطلاب علم، خرج منها جماعة كثيرة من العلماء والمشايخ والفضلاء[28]، هذا ما جعلها قطبا علميا متميزا خلال العصر الغزنوي.

من بين المدن التي اتخذت طابعا علميا في بلاد ما وراء النهر خوارزم التي تعد مرتعا للعلم والعلماء. والدليل على ذلك ما ذكره الحموي في كتابه حيث قال: «ينسب إلى خوارزم عدد من الأعلام والعلماء لا يحصون»[29]، من أشهر هؤلاء العلماء البيروني الذي يعد نابغة عصره[30] اشتهر بتأليف كتاب القانون المسعودي للسلطان مسعود بن محمود يتناول مبادئ علم الهيئة أو علم الفلك [31]، وله مؤلفات في علوم عدّة كالطب والصيدلة والرياضيات وغيرها، ويعد من العلماء الموسوعيين في التاريخ الإسلامي.

استطاع يمين الدولة ضم ممتلكات خوارزم سنة 408هـ/1017م، وبذلك يكون السلطان محمود قد سيطر على حاضرة علمية أخرى احتوت رجالا علم وأدب[32] لتكتسب الحياة العلمية في الدولة الغزنوية أكبر قوة علمية في المشرق الإسلامي.

حواضر بلاد الهند

دخلت كل المناطق الخاضعة لسلطان الدولة الغزنوية ضمن إطار الحياة العلمية فكانت الهند من ضمن هذه المناطق، لكن العرب عرفوا الهند قبل الإسلام وبعده، فكان الفتح والدعوة والعدل والحضارة على أرض السند والهند

خلال القرون الثلاث الأولى من الحكم الإسلامي، وعندما بدأت بوادر الضعف تدبّ في الدولة العباسية سنة 222هـ/837م، ضعف معها أمراء المسلمين في الهند حتى اقتصر نفوذهم على بعض الولايات الهندية، حتى انتهى أمر الهند إلى يد الغزنويين المسلمين[33].

أمضى السلطان محمود نحو خمس وعشرين سنة في حرب وجهاد في الهند[34]، أسفرت عن دخول سكان الهند في الإسلام، فانعكست أشعة العلم من بلاد خراسان وما وراء النهر، وصارت ملتان مدينة للعلم، ونهض منها جمع كثير من العلماء[35].

تعد ملتان أبرز حاضرة علمية في الهند [قبل تقسيمها، وهي الآن ضمن باكستان]، يشتهر عن أهلها أنّهم أهل رغبة في القرآن وعلمه والأخذ بالمقارئ السبعة والفقه وطلبة العلم والأدب[36]، كما كانت لاهور قاعدة الملك في أيام الدولة الغزنوية ومن أكثر المراكز للعلوم والفنون[37]. واشتهرت لاهور في عهد السلطان مسعود، وأصبحت من المدن الذائع صيتها في الشرق بمدارسها ومساجدها. وينسب الهيا أول محدث دخل الهند وهو محمد إسماعيل الآهوري[38].

أمّا مدينة المنصورة فيقول عنها المقدسي إن أهلها أهل لباقة وإسلام ومروة وعلم، وتعد من أقدم المراكز للعلوم الإسلامية والتبليغ للإسلام في بلاد السند بل في شبه القارة الهندية كلها[39].

والمشهور أنّ الحكام الغزنويين استفادوا من العلوم التي وجدوها في الهند، حيث كان السلطان محمود الغزنوي ينفق على العلماء الآلاف من الدنانير فضلا عن الأرزاق التي يجريها، فيذكر عن السلطان محمود «عندما كان في احدى غزواته إلى الهند، بالضبط في ولاية ننددا، إذ حاصر يمين الدولة هذه المدينة فبادر حاكم ننددا إلى السلطان بالصلح، وأرسل ثلاثمائة فيل وقال شعرا عن السلطان محمود باللغة الهندية، فسرّ محمود بذلك كثيرا، وكتب لحاكمها بإمارة خمس عشرة قلعة، وقال له: هذا عطاء الشعر الذي نظمته من أجلنا»[40].

في نهاية هذا البحث نستنتج أن سبكتكين كان القائد المؤسس للدولة الغزنوية، ثم خلفه ابنه محمود وحفيده مسعود اللذان جعلا الدولة الغزنوية تحجز مكانا بين كبريات الدول في العالم آنذاك، من خلال تشجيعهما للحركة العلمية التي ساهمت في سير عجلة التقدم والازدهار فأصبحت مدن الدولة الغزنوية منارة علمية مشعة إبان تلك الفترة من تاريخ المسلمين.

حرص السلطان محمود وابنه مسعود على جعل غزنة من أكبر المدن الإسلامية وجعلها تضاهي دمشق في حسنها وبغداد في عظمتها، وكان ذلك رغبة في التميز والظهور الذي عاد بالفائدة العلمية وباعتبارها كذلك عاصمة الدولة الغزنوية، كما سعى الغزنويون إلى جعل كل منطقة تدخل ضمن حدود دولتهم ذا صبغة علمية وذلك من خلال استقطاب العلماء وإتاحة الفرصة لهم لممارسة التعليم وتصنيف العلوم.

رغم الفتن والحروب والصراع على الحكم إلا أن مكانة العلم والعلماء في حواضر الدولة الغزنوية ظلت عالية، ولم يُغفل دور العلم والبحث، حيث كرس اهتمام الحكام بالعلم والثقافة المفهوم المتأصل في تلك الفترة بأن الحضارة وقودها العلم من اجل التطور والتقدم.

===

الهوامش

[1] عبد الحي الكرديزي، زين الأخبار، ترجمة: عفاف السيد زيدان، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2006م، ص 222.

[2] الدولة السامانية: 261هـ-389-هـ/874م999-م دولة فارسية السلالة نسبة إلى سامان بن خداه. عاصمتها بخارى. انظر/ي أرسينوس فامبري، تاريخ بخارى منذ أقدم العصور حتى العصر الحاضر، تح: يحيى الخشاب، أحمد محمود الساداتي، مكتبة النهضة، القاهرة، دون تاريخ نشر، ص 93.

[3] أبو محمد بن عبد الجبار العتبي، اليميني في شرح أخبار السلطان يمين الدولة وأمين الملة محمود الغزنوي، تحقيق: إحسان ذنون الثامري، ط 1، دار الطليعة، بيروت، 1424هـ/2004م، ص 20. أحمد محمد عدوان، موجز من تاريخ دويلات المشرق الإسلامي، دار عالم الكتب، الرياض، 1410هـ/1990م، ص 127.

[4] العتبي، المصدر السابق، ص ص 416-417.

[5] المصدر نفسه، ص 418.

[6] حسن امجن، دائرة المعارف الإسلامية الشيعية، مج 16، ط 6، دار التعارف للمطبوعات، لبنان، 1423هـ/2002م، ص221.

[7] شيرين السماحي، الحياة الثقافية في غزنة من منتصف القرن الرابع إلى

منتصف القرن السادس بعد الهجرة، رسالة دكتوراه في الآداب من قسم التاريخ، جامعة القاهرة، 1432هـ/2011م، ص 99.
[8] شمس الدين المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط3، مكتبة مدبولي، القاهرة 1411هـ/1991م، ص 394.
[9] محمد حسن العمادي، مؤسسة حمادة للخدمات الجامعية، الأردن، 1997م، ص 249.
[10] أبو إسحاق إبراهيم الصريفيني، المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور، تح: محمد احمد عبد العزيز، ط1، دار الكتب العلمية، 1409هـ/1989م، بيروت، لبنان، ص ص 21-35.
[11] محمد بن شاكر الكتبي، فوات الوفيات، تحقيق: إحسان عباس، جزء 3، دار صادر، بيروت، دون تاريخ نشر، ص 18.
[12] محمد بن عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس، ط2، مكتبة لبنان، بيروت، 1984م، ص 595.
[13] خير الدين الزركلي، الأعلام: قاموس التراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ج1، ط15، دار العلم للملايين، بيروت، 1430هـ/2009م، ص 210.
[14] عبد الملك الثعالبي، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، تر: مفيد محمد قميحة، ج4، ط1، دار الكتب العلمية بيروت، 1403هـ/1983م، ص 397.
[15] أبو القاسم محمد ابن حوقل النصيبي، صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1922م، ص 374.
[16] أبو إسحاق إبراهيم الاصطخري، مسالك الممالك، مطبعة بريل، ليدن، 1870م، ص 282.
[17] نجم الدين عمر بن محمد النسفي، في ذكر علماء سمرقند، تح: يوسف البادي، ط1، مرآة التراث، طهران، إيران، 1420هـ/1999م، ص 519.
[18] الحميري، الروض المعطار، المصدر السابق، ص ص 532-533.
[19] ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج5، دار صادر، بيروت، دون تاريخ نشر، ص ص 115-116.
[20] شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، مجلد 7، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1417هـ/1996م، ص 486.

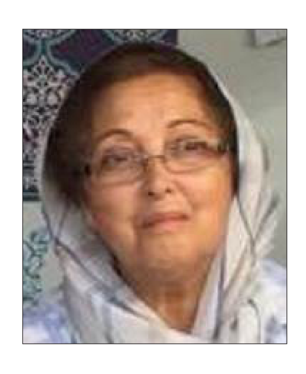
[21] فامبري، المرجع السابق، ص 124.
[22] إدوارد جرانفيل براون، تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي، تر: إبراهيم أمين الشواربي، مكتبة الثقافة الدينية، د ت ن، ص 118.
[23] الناتلي: نسبة إلى ناتل وهي بليدة بنواحي آمل طبرستان. انظر/ي: السمعاني، الأنساب، تح: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، مج 13، ط1، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، 1297هـ/1977م، ص 4.
[24] أحمد أمين، ظهر الإسلام، ج 1، مؤسسة هنداوي، مصر، 2012م، ص 219-220.
[25] جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، منشورات، عيسى البابي الحلبي، د م ن، 1384هـ/1964م، ص 438.
[26] نجم الدين عمر بن محمد النسفي، القند في ذكر علماء سمرقند، تح: يوسف الهادي، ط1، مرآة التراث، طهران، إيران، 1420هـ/1999م، ص 33.
[27] ترمذ مدينة مشهورة من أمهات المدن راكبة على نهر جيحون من جانبه الشرقي متصلة العمل بالصغانيان بينها وبين بلخ مرحلتان وبينها وبين مدينة الصغانيان خمس مراحل وهي أكبر من الترمذ، وترمذ أكثر أهلا. انظر/ي: الحموي، معجم البلدان، ج2، ص 26، وانظر/ي: الحميري، المصدر السابق، ص132.
[28] أبو سعد عبد الكريم السمعاني، الأنساب، مج3، تح: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، ط1، الفاروق الحديثة للنشر، 1297هـ/1977م، ص41
[29] الحموي، المصدر السابق، مج2، ص 398.
[30] السيد عبد المؤمن السيد أكرم، أضواء علة تاريخ توران، تح: أحمد محمد جمال، مكتبة الإسكندرية، مصر، دون تاريخ نشر، ص 31.
[31] السنيور كرلونلينو، علم الفلك وتاريخه عند العرب في القرون الوسطى، ط2، أوراق شرقية، بيروت، 1413هـ/1993م، ص 39.
[32] براون، المرجع السابق، ص 118.
[33] صباح عبد الوهاب الداهري، الدولة الغزنوية من خلال نقودها العربية، مجلة العلوم الإسلامية، العدد 12، د م ن، 2012م، ص 293.

[34] عبد المنعم النمر، تاريخ الإسلام في الهند، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، 1401هـ/1981م، ص 114.
[35] عبد الحي الحسني، الثقافة الإسلامية في الهند، مؤسسة هنداوي، القاهرة، 2012م، ص 14.
[36] ابن حوقل، المصدر السابق، ص 287.
[37] الحسني، المرجع السابق، ص 14.
[38] محمد سعيد صلاح عثامنه، الحركة العلمية في عصر الدولة الغزنوية (351هـ/582م962-هـ/1186م)، رسالة دكتوراه في التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، جامعة اليرموك، 1427هـ/2006م، ص 105.
[39] المقدسي، المصدر السابق، ص 279.
[40] الكرديزي، المصدر السابق، ص 264.

د. لطيـفة حـليم

قراءة في قصيدة

القصيدة موضوع القراءة للشاعرة أميرة الزين، الأستاذة في جامعة جورجتاون في قطر. القصيدة منشورة ضمن ديوان عنوانه «ألي وحدي أنا كل هذا الدمار؟» الناشر: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2018.



تغازل الشاعرة أميرة الزين الألفاظ بصبر جميل، لا فرق عندها بين العدم والموت. تشكل القصيدة أقوى لحظات الرؤية الشعرية المأساوية حيث تخلق أكبر التعارضات القائمة بين جسد ميت وجسد حي. داخل الذات الأنثوية المحررة للنص الشعري، يولد النص في عمى صمت مدهش، ليحقق أقوى صور التعارض المفضية إلى مشاهدة الجسد يرحل من طرف صاحبته في عمى صمت على صمت.

التشوش والرحيل عن الجسد وصراخ الشاعرة، كل ذلك علامات تفضي إلى العدم المعارض للكون. إذن فالمرحلة الأولى في هذه القصيدة هي مرحلة مجابهة العدم. والقصيدة كلها ستتجه إلى مكاشفة طرق عودة الكون إلى سابق عهده. تجرب الشاعرة في القصيدة أنواعا من الوصفات التي سنتابعها واحدة، واحدة. الأمطار، بعده الصراخ، ثم استطلاع معنى العدم الواجب للرد عليه، إلى آخره.

تستطلع الشاعرة ذاتها الراحلة، في تشاكل يفقد فيه القارئ صواب

الإدراك، وكيفية حلول الموت بها. كأن الدمار حل بها من خلاله. هكذا تتحول الذات الراحلة إلى قناة تنقل إلى الشاعرة معنى الدمار. إنه العدم. إنها تحاول هنا مقاومة العدم قبل حلوله.

تتخيل الشاعرة أشكالا لحضور العدم. وتنتقل بالقارئ من التمثيل النفسي «التشوش» إلى التمثيل الهندسي المكاني: «ارتفعت إلى السقف»، إلى التمثيل الحيواني «هذر النمل»، إلى التمثيل النباتي «متى اشتعل الفطر في رأسك، ومتى لفتك زوبعة القطن المنتوف؟»

يلاحظ أيضا أن هذه الأنواع من العدم بينها ترابط ذكي وصنعة فنية مدهشة. كلها مقدمات لتشوش النفسي. إن الذي تلفه زوبعة القطن الملفوف أو يشتعل الفطر في رأسه حري بأن يتشوش لذلك. وهذر النمل كذلك يفعل بالإنسان فعلته. الهدف الارتفاع إلى السقف، الذي هو نهاية التشوش النفسي، الذي ورد في القصيدة بالدارجة بيانا لعمقه وشديد أثره.

يستمر الحديث عن العدم ممثلا في آثاره على الطبيعة. الأمطار تمطر دما، بجنب الحديث عن الآثار المترقبة المائلة في قول الشاعرة: «هل كنت شجرتي الخنثى تميل نحو الأرض؟ هل كنت نخيلي القدسي»، إلى آخره. تترقب الشاعرة هناك آثارا تريد أن تعرفها عن العدم. إن هناك فرقا بين الآثار الظاهرة والآثار الخفية، التي لا يعرفها إلا زائر العالم الأخروي، عالم يتجه إليه الهالك وهالك.

المجاز البصري وحاسة العين

إن قوة العين في التقاط صور الشعر تشغل أكثر من التقاط الأفكار المجردة. ولعل الفارق الأساسي بين المدرك الحسي والصورة العقلية يتمثل في أن المدرك الحسي، الذي يتمثل بالوضوح على عملية تلقي العالم عبر الحواس، تزداد فاعليتها حين يتعلق الأمر بحاسة البصر على وجه الخصوص.

إن المجاز البصري في عملية النقلة من فضاء الطبيعة إلى فضاء الورق «زهرة» فيه جهد ومكابدة، وتحويل العمليات الذهنية عبر المخيلة البصرية إلى نوع من التجسيد والتشخيص يفيد التغيير والحركة. الشاعرة تغير مواقع الأشياء لتقرب فضاء الطبيعة المفتوح والذي تمثله «زهرتي» إلى فضاء مغلق الذهن يمثله «ضريحك».

السؤال الذي يتبادر إلى الطرح هو: كيف تتشكل الذات الأنثوية؟ وكيف

يتم عبور الخطاب الشعري عند الشاعرة أميرة الزين؟ الذات مصدر الرؤية الشعرية. ويتم العبور الشعري عبر مستويين:

=1= ضمير المتكلم، الذي يتحول إلى ضمير الغائب.

=2= الذات كقطعة بيولوجية ونسق من الحواس، التي يتم عبرها استنطاق العالم الخارجي والتعبير عنه، حيث يتم نقل النبات المفرح «زهرة»، ليمر عبر الذات الأنثوية، فينصهر ويتحول من فرح إلى حزن. والمؤشر على هذا التحويل هو لفظ «ضريح».

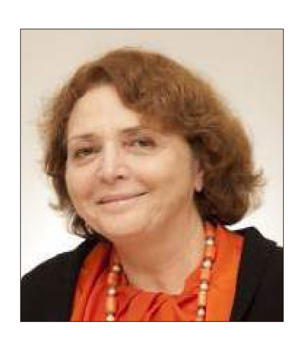
يلاحظ من خلال تشغيل بعض الألفاظ المعجمية أن لا شيء عند الشاعرة أميرة الزين يكتب عبثا. إنها تنسج علاقاتها مع العالم عبر حاسة العين، وتنقل صورا من الفضاء الخارجي لتتحول إلى مادة شعر. تمرر فضاء الخارج عبر الذات الأنثوية الناطقة بواسطة حاسة البصر، فيصبح الوصف أداة للكتابة الشعرية، مقيدة بقوانين فينومنولوجية، وعالما مهووسا بتناقضات الذات الأنثوية.

أنثوية جمالية التكرار وحاسة العين

يتكرر فعل رأى في القصيدة ست عشرة مرة. الفعل يشغل في معاني تجريدية وفي مواقع سريالية. في مثل قول الشاعرة:
«كيف رأيت جسدك يرحل عنك»؛ «ورأيت أجدادنا»؛ « أتراني كما يرى الوليد لحظة الولادة».
الفعل رأى يشغل ليفيد غرابة الصورة في انزياحها عن الواقع. الفعل لا يستطيع أن يؤدي وظيفته الواقعية دون أن يخترق الواقع الملموس «الولادة». الشاعرة تمتلك قوة ما فوق قوة زرقاء اليمامة. رؤية: «جسدك يرحل عنك»، رؤية: «أجدادنا»، ورؤية: «لحظة الولادة».

صعب أن تنتزع الروح من الجسد دون أن يفقه الإنسان سر هذه النهاية. الشاعرة تجانب الصواب لتلقي بنا في عتمة متاهات فلسفية، وتسبر أغوار حقائق مرعبة بين الكون والعدم. الغرض عندها أن تكاشف لحظة الموت التي تتعارض مع لحظة الولادة. الشاعرة تحاذي البعد الأنثروبولوجي في دراية وبحث أنيق. وكأنها بهذا الطرح شبيهة بميشيل فوكو في تحاليله للموت.

مقطع من قصيدة الشاعر أميرة الزين



ضريحُكَ زهرتي.
أمطرت طفولتي
حين تُوفيتَ
وصرختُ
هل تشوَّشتَ عند الموت؟
كيف رأيتَ جسدَك يرحل عنك؟
وكيف انحنيتَ عليه
وودعتَ؟
أصغيتَ للناس تهمسُ
سمعتَ أصواتهم في نفق
ارتفعتَ إلى السقف
وتأملتَ جسدك:
أهذا الدمار لي؟

هدى الدهان

تحف وأنتيكات



مشى ببطء متلمسا هدي الطريق بإرشاد ضوء مصابيحها. يحاول بقوة قشة إنقاذ المكان من تلاطم الظلام. كان الغرض ألّا يجرح السكون في هذا البيت، أو ربما كان غرضه ألّا يتعثر بإحدى هذه التحف الكثيرة التي تزحم الزوايا والأركان فتسقط إحداها فيضطر إلى الاعتذار أو دفع ثمنها، وكلاهما ليس بالأمر الوارد عنده.

ترك نفسه لتأخذه لوحة وتصاحبه قطعة أثرية وتهمس له زهرة مجففة ويراقصه خلخال سومري إلى أن أعادته إلى أرض الواقع يداها وهي تمسك بكتفيه من الخلف فتوجهه إلى حيث يجلس حتى قبل أن تسلم عليه.

دوما كانت تحب القيادة في كل شيء والتحكم في الزوايا والأماكن والأشخاص. لم يلتفت حتى. استمتع بدفء اليدين واختصر مسافة الكلام بالطاعة. حين جلس فوق المقعد الخشبي خنقه سؤال قرأته في صمته وبابتسامة مديرة المدرسة لتلميذ أجابته:

«عيناك تترك سؤالا على كل قطعة في غرفتي. لماذا أحب اللوحات وقطع الحلي الأثرية والفخار القديم والخناجر العتيقة؟»

«لا، فهذا شأنك». (اعتاد دوما على ترك مسافة بينه وبين الآخرين حتى لا يحسوا بقيمتهم عنده فيستغلونها).

منذ كنتُ شابة بدأتُ بتجميع الحلي الفضية. أجدها معدنا أصدق من

الذهب باختلاف عياراته وطرق طلي الحلي بمائه، بل وحتى من ماتوا بحثا وتنقيبا عنه.

الفضة ليست في رقبتها دم أحد. أعجبتُ في البداية بحلي الغجريات، فبدأت أجمعها. وكلما كبرت كلما نضجت. فرأيت الآخرين على حقيقتهم فلم أكلف نفسي عناء وجهد تنقيتهم ليستطيعوا العيش في حياتي ويستحقوا وقتي وروحي. فتركتهم في ضحالتهم. واستعضت بصحبة تلك الحُلي عمّن انفضوا عني لانتهاء هدفهم من العلاقة ومن أخذتهم ظروف الحياة لمكان آخر؛ ثم بدأت بتجميع بقية التحف.

التحف أصدق وأنقى من كثيرين حولنا. أغلفها بالظلام دوما حتى لا أجرح نقاءها. دوما الضوء يعري الأشياء من جمالها ومن سحرها. النهار قاسٍ وأشعته جارحه. الليل يهدهدك ويلملم جراحك، وأفضل مكان تختبئ في حضنه، فلا يَبينُ من وجهك شيء. لا دمعة، ولا أثر لعملية ترقيع وتجميل، ولا ابتسامة مكر تعكس صدق شماتتك بأحدهم.

الليل كباب مغلق ووجهك خلفه. الصبح يفتح هذا الباب للنسيم وللذباب. وليس لك أن تختار أحدهم دون الآخر ما دمت اخترت أن تقف في حديقة منزلك، أي أن تكون بين الآخرين.

لكن في هذه الغرف وهذه الأركان، أنا مع كل النقاء والعفة. ويوما ما حين احتاج مالا لمعيشتي في هذه الحياة، وحين أعجز عن العمل، فإن كل قطعة منهم حين تُباع توفر لي بثمنها كرامة الاستغناء عن الآخرين والعيش بمغارتي أطول مدة ممكن اقتناصها من الزمن.

حين أبكي يتلقف دموعي حضن كأسٍ فخاري؛ وحين أفرح يصفق لي دف قديم؛ وحين أغضب يهديني خنجر وعدا بالانتقام؛ وحين احتار تهديني لوحة زيتية كل الحلول الممكنة.

لم أجد كما من العطاء إلا في الأشياء المادية، عطاء بلا منة ولا شرط ولا مقابل. والأفضل أنه كلما احتفظت بها أكثر كلما زادت قيمتها وتهافت الناس عليها. يتزايدون بما جمعوه من أموال وهم يعملون ويعرون أنفسهم لضوء النهار.

الأشياء هي الوحيدة التي يتساوى الثمين منها والبخس. كلاهما لن يؤذيك. لا يمكن أن يؤلمك رسم زيتي، ولا تجادلك قلادة، ولا يجرحك كتاب، ولا تدينك تحفة، ولا تضرك بالتالي حفنة تراب أو قلم رصاص أو قشرة جوزة.

لماذا لا نستعيض عن الإنسان بالأشياء التي تسلي وحدته اليوم وتدر عليه

مالا غدا؟ لماذا نظل نتحمل تفاهتهم ونفاقهم ولؤمهم أو نعتاد على عطاء من فيه خير فيهم، وحين يتركوننا فجأة نكون كطفل ضائع في سوق شعبي: كلما توغل في سوق الحياة أكثر، كلما علا صراخه وتاه أكثر.

* * *

قرر ألّا يجيب خوفا من شماتة تمثال فرعوني، وقهقهة غرامافون، ولقطة يراها في عين الكاميرا القديمة التي أمامه. هل بدأ فعلا يراها تتحضر لتلتقط لوجهه الخائف صورة تعزز بها نصرها عليه أم أنه فقط يتوهم والكاميرا التي أمامه مجرد حديد ينعكس عليه ضوء مصباح ذو لون أصفر كالحمى؟

ترك لها مغارتها وعالمها ولم يخبرها لماذا أتى. وحدها التحف هم من حولها الآن ببرودها تعرف. تعطيها حبا وحضورا يغنيها عن التصنع الذي يزيف به الآخرون وجودهم في حياتها.

خرج إلى الشارع يحس بالانكسار. هل لأن من هزمه هذه المرة واحتل وجودا في حياتها هو جماد لم ينطق بحرف ولم يتحرك من مكانه؟

رآها قبل أشهر في محل شرب القهوة الذي يملأ أركانه بكل قطعة قديمة استطاع صاحبه الحصول عليها وأكملها بالجدران التي امتلأت بورق الجرائد القديمة وصور الأبيض والأسود.

كان يظن أنها تأتي إلى هناك لتستمتع بالقهوة وبالمكان. حين طال غيابها وتباعدت زياراتها سأل عنها النادلة فأجابته إن السيدة لا تأتي إلا إذا كانت هناك صفقة، فصاحب هذا المحل لديه خبرة في شيئين: القهوة والتحف. وهو يستطيع تقديم القهوة وشراء التحف المقلدة. أما الأصل فكان يدلها عليها ويأتيها بها كلما عثر على قطعة لم يحلم أن يمتلك يوما نصف ثمنها. كان يفرح كلما اشترت قطعة دلها عليها وكأنه سيرث هذه السيدة يوما أو ربما إحساسه بأن القطع الثمينة يجب أن تكون في أيد ثمينة كيديها.

أحس بالضياع بعد هذا اللقاء. أراد أن يفضفض وأن يبتلع دموعه. اتصل بصديقه فأخبره أنه مع أولاده وسأله إن كان يحتاج شيئا يستلزم حضوره، فأخبره أن «لا». اتصل بأخته فشكت له من الجيران وزوجها والأولاد.

أحس انه وحيد في الحبس الانفرادي.

تحسس الخاتم. ما زال في مكانه. كان يملك هذه القطعة من الماس التي ورثها عن والده. خاتم تم بيعه في أحد المزادات بعد الحرب العالمية، فاقتناه والده بشغف وكأنه الناجي الوحيد. أخذه في جيبه اليوم لغرض غير

البيع والشراء، أو ربما قرر شراء قلبها وعمرها بهـ فأتاه الرد بعشقها لذاتها واستغنائها عن الآخرين ومنهم هو.

لم تسأله كيف عرف عنوانها. وهل تكفي كلمات بسيطة يتبادلونها في مقهى كزبائن طاولات قريبة التقوا أكثر من مرة أن يطلبه من أحد؟ لم تسأله عن سبب مجيئه إلى منزلها. تُرى هل أخبرها ذاك الجرس الحديدي القديم لدير كنسي الذي يتصدر مدخل بيتها؟ هل أخبرها عن القادم إليها وسبب زيارته؟

أحس بالحرمان وبالوحدة، تصفح قائمة الأسماء في هاتفه فلم يجد من يستطيع أن يفضي له بما في نفسه دون أن يجد الأمر أقل من عادي أو لا يستحق الذكر.

لم يجد من ينصت له حقا لان للكل حياته التي تلهيه موسيقاها عن سماع موسيقى الآخرين التي ربما تنشز له حياته أو تحدث ثقلا عليها.

اخرج الخاتم من جيبه وفكر إن هو بكى فدمعته ستغسل تلك الماسة وتزيدها بريقا ثم تتلاشى فلا يعود الخاتم شاهدا على لحظة ضعف. أزاح اللجام عن روحه. سب وشتم ثم تغزل ووضحك. كل هذا والخاتم بيده عبد مطيع ما بين اعتصاره في لحظة غضب والتربيت عليه في لحظة شغف.

أعاد الخاتم إلى علبته الخشبية. ذهب إلى منزله. أخرج رزمة من الأوراق النقدية وتوجه إلى أقرب محل لبيع التحف.

نـازك ضـمـرة

ثرثرات أبي العدس



كان مربي الغنم الشيوعي «أبو العدس» طويلا كثير الحركة والمشاغبة، لم يكن يأتمن أي راع على غنمه، بل يرعى غنماته بنفسه، يصادقها ويرافقها أينما حل، ولضيق المساحات الصالحة للرعي في منطقتنا، اضطر أن يبتعد عن البلدة التي يعيش بها، متنقلا بغنماته التي لا تقل عن خمسين شاة.

الأرض حول قريتنا واسعة وينمو فيها أنواع كثيرة من العشب والنباتات الرعوية، لكن الاحتلال الصهيوني الذي ينتهي طرفه عند قريتنا، منع الناس من استخدام ارض البلدة من الجهة الغربية، حتى يضمن عدم تسلل الفلسطينيين لمواقعه ومشاريعه الزراعية والاستثمارية.

ولسوء حظ الفلسطيني أن رجال الأمن الأردنيين كانوا يلتزمون بقرار العدو، ويتشددون في تنفيذ منع الناس من الاقتراب من تلك السهول الخصبة الجميلة، ويعاقبون أو يتسببون في سجن من يكرر فعلته، فيرسلونه للمحاكمة إلى مركز المحافظة في رام ا لله ليحاكم عسكريا بالسجن لأسبوع أو شهر أو شهرين، لأن المنطقة كانت تخضع للحكم العسكري، بحجة حالة الحرب الراكدة،

كان أبو العدس شيوعيا ينكر المعتقدات الدينية ولا يطيق رؤية رجال الدين، وكان من أجرأ الرجال الذين عرفهم مرزوق، فمن الغرائب الكثيرة التي أفرزتها غلطة هجرة الفلسطينيين لمدنهم وقراهم أن يصبح راعي الغنم شيوعيا، وأكثر ما كان يثير فضول مرزوق أن أبا العدس شبه أمي لا يقرأ ولا يكتب، فكيف استوعب الفكر الشيوعي بين عامي 1948 و1952؟

كان في الثلاثينات من عمره، لا يستطيع قراءة سطر واحد، وربما يستطيع أن يكتب كلمات بسيطة، فكيف صار شيوعيا؟ ومن علّمه المفاهيم الشيوعية؟ ظل هذا مجهولا عند أهل القرية، ولم يخبر أحدا عن معلمه، وبعد أن كبر مرزوق وصار شابا في المرحلة الثانوية، تنبه إلى أن معلم مدرسة القرية كان شيوعيا، ومرزوق وقتها أصبح يلتقي بشباب وشابات في رام الله، من حزب البعث وحزب الإخوان المسلمين والحزب الشيوعي، إذ كان كل حزب يحاول تجنيد أكبر عدد من الشباب للدخول فيه.

كان مرزوق شديد التأثر بتلك الأفكار، ومن طبيعته انه شديد التأثير فيمن حوله وفيمن يتعاملون معه أيضاً، وهكذا عرف مرزوق عن أبي العدس بأنه كان يساريا متطرفا، وضد كل تراث أو تقاليد.

لم ينجرّ مرزوق لمعتقدات أبي العدس، مع أنه كان يحترمه لشجاعته وجرأته في نقد العقليات والأفكار القديمة، ولولا أنه كان ينكر وجود الله ولا يطيق رؤية رجال الدين لتأثر به مرزوق، وانضم للحزب الشيوعي، وليس الأمر كذلك، بل لولا نكرانه لوجود الله بجرأة وصراحة وعدم رهبة، لأثر في معظم شباب القرية، ولجعل معظمهم يتبعونه.

كاد مرزوق أن يتأثر بأفكار أبي العدس، لكن نشأة مرزوق في بيت متدين، وأسرة عريقة في تدينها جعله حريصا في سلوكه وتصرفاته، لكنه يحب التجدد والتجديد، فظل حريصا على المحافظة على التوازن بين التقدم وبين المألوف والتراث، وبين التجديد والتمرد نوعا ما وفي الخفاء.

من أقوال أبي العدس: «إن ترك الفلسطينيين لبلادهم وهجرة أماكنهم، كان غباء وتخلفا، ومثل غنماتي بلا راع».

يجد مرزوق الكثيرين يستمعون لراعي الغنم، برغم أنه من اللاجئين الذين هجروا قريتهم القريبة على الحدود، ويرونها أمام أعينهم عند خط الهدنة، لكنه أصبح في قريتنا شخصاً مألوفا، وله حضور واستماع لما يقوله في المجالس، وأصبح له صديقان أو ثلاثة من الناس المهمين في القرية، ومنهم مرزوق الذي بدأ يصعد في طريق العلم والدراسة الثانوية، وكان أبو العدس يقدر مرزوق ويحترمه، مع أن فارق السن بينهما كبير، أو إن عمر مرزوق كان نصف عمر أبي العدس تقريبا.

حين هرب أهل قرية أبي العدس فزعا من الصهاينة، فعل أبو العدس كغيره: حمل معه غنمه وهاجر كغيره، لكنه عاد واقترب لحدود قريته بعد أن

استقر خط الهدنة وهدأت الحروب والاعتداءات الصهيونية على الفلسطينيين، بعد أن أصبحوا جزءا من المملكة الأردنية الهاشمية.

ذلك الانضمام كان بقرارات فردية لا شعبية ولا ديمقراطية، وتلك كانت الطامة الأكبر على الشعب الفلسطيني، إذا أثبت هذا القرار الخاطئ أن الفلسطينيين ليس لهم دولة، ولن يكون لهم دولة بعدها، ليواجهوا طاردهم، والانضمام لدولة الأردن أكد الادعاءات الصهاينة بأنه لم يكن للفلسطينيين في الأصل دولة.

المهم أن أبا العدس استقر في أقرب قرية مجاورة لحدود بلدته، حيث السهول الواسعة بين القريتين والأعشاب والنباتات الكثيرة الصالحة لرعاية الماشية.

كانت النظرة لراعي الغنم أنه أكثر الناس فقرا وجهلا، وعادة ما يكون يتيما أو معدما، أو يعاني نقصا نفسيا أو جسمانيا، أخرس أو أعور أو أعرج، أو انه اقل الناس قيمة واعتباراً في القرية، لكنّ أبا العدس كان سليم الجسم والعقل والمنطق، طويل القامة ممشوقها كأنه عمود مستقيم.

نادرا ما تراه عابسا أو حزينا، قد يتذمر أحيانا لكنه لا يتألم ولا ينتكس، لا يشكو بل لا يتوقف عن محاولة اكتشاف الحقيقة، والتوسع في المناقشة والفهم، وحين اقترب مرزوق منه دار حديث عن النساء والجميلات، فأثار مرزوق أن مزنية لا يستطيع أي رجل الاقتراب منها أو مغازلتها، فقال أبو العدس له مرة:

= إذا لم أنجح في أن أجعل مزنية تحبني فلا أستحق الحياة.

= عشمك مثل عشم إبليس في الجنة.

= هذا الكلام لا يقال لأبي أبو العدس يا مرزوق، ولا أريد أن أقول ستشاهدون، لكن «سيأتيك بالأخبار من لم توصّه».

المهم أن أبا العدس غيّر فكرة الناس عن راعي الغنم، وواصل الناس جلوسهم على جانب الطريق العام، يتحدثون بأمورهم ويومياتهم ومتاعبهم، ويتحدثون ساعات طويلة لقتل أوقات الفراغ التي كان ما أكثرها في تلك الفترة.

يقول أبو العدس: «ومتى كان للوقت أهمية في حياة إنساننا؟»

معظم النساء يضطربن ويخجلن من نظرات الرجال إن كثروا حولها، مع أن العادة كانت حين تمر المرأة في الطريق العام، يخبو صوت الرجال ويهدون، ريثما تبتعد عن مكان جلوسهم، ينتقد بعض الحاضرين أنفسهم وعادتهم تلك في

الجلوس على جوانب الطرقات، ومع ذلك يواصلون تلك الجلسات وطقوسها، والبعض يجلسون أمام المسجد،

يلاحق أبو العدس أي تجمع للرجال في أي مكان، للراحة أو للفرح أو في حزن، وكان يشارك في أفراح أهل القرية وأتراحهم، ولا همَ لديه إلا المناقشة والمناكفة والانتقادات اللاذعة، يتدخل في كل موضوع ومع أي شخص من القرية، وبصوت يعلو على أصوات الجميع.

شهد عليه بعضهم أنهم سمعوه أو رأوه يتحدث مع مزنية في الطريق حين يكونا بمفردهما. كثيرون قالوا إنه نجح في نسج صداقات مع نساء عديدات، يتبعهن أو يصدفهن في البراري والقفار، وسبحان كاتم الأسرار! لديه ثقة بنفسه، مما يجعل الناس يستمعون له ولحواراته حتى لو كانت لا توافقهم. وهذا جعل الشاب المراهق مرزوق يسأل نفسه في مواقف كثيرة، كيف تثقف أبو العدس الأمي؟ وهو لم يدخل مدرسة في حياته، حتى أن قريته لم يكن بها مدرسة ولو صغيرة مثل باقي القرى، فمتى تعلم كل هذه الأفكار والمعلومات العامة. يجيب مرزوق نفسه قائلا، «الله أعلم ثانية».

لكن معظم الناس قالوا إن المدرسين اللذين عملا بالتعاقب في القرية خلال السنوات الثلاث الأخيرة صدف أن كانا شيوعيين، حيث كان مقررا للبلدة مدرس واحد فقط، يعلم الأطفال حتى الصف الرابع الابتدائي، ومن أراد مواصلة التعلم فعليه الانتقال إلى مدرسة القرية المجاورة الأكبر، والتي يدرس الطلاب فيها حتى الصف السابع، ثم من أراد مواصلة الدراسة الثانوية فلينتقل إلى مدارس مدينة رام الله أو مدينة البيرة الحكومية إن كان مجتهدا، أو إلى المدارس الأهلية والتبشيرية المكلفة إن استطاع أهله دفع أقساطها.

انتظر مرزوق فرصة انتقاله للمدينة بفارغ الصبر، لكي يتعلم ركوب الدراجة الهوائية لحبه الشديد لهذه الرياضة، يجتهد في كل شيء، ويسابق مرزوق الريح والبشر والسيارات والخيل والبغال والحمير الكثيرة حوله، وبعد تخرجه سيبدأ بالتفكير كيف يمتلك دراجة لنفسه.

كان المدرس الوحيد في القرية يشعر بالملل وبرتابة الحياة وضيقها، لابد أنه كان يتمنى أن يجد شخصا يزوره أو يكلمه وهو الغريب وليس من سكان القرية نفسها، فما أشد حاجة أي غريب إلى من يسهر معه أحيانا!

كان أبو العدس يحمل معه الجبن أو اللبن أو الحليب ويقدمه مجانا للمعلم، لم يكن أبو العدس بخيلا بل كان يقدم الحليب أو اللبن لكل من يحتاجه ومن يطلبه

من أهل القرية، أما الجبن فكان يتعب بصنعه هو وزوجته ليبيعه في أسواق المدينة أو يوصله لبيوت الأغنياء الذين خبروا منتجاته، بحثا عن السعر المرتفع.

حتى في الاقتصاد والتسويق كان أبو العدس أعجوبة، فعدا عن أنه كان كما ذكر أكثر من مرة يعجب بنساء المدينة حين يكلمنه وهن بملابس النوم أو ملابس المطبخ، وعندما تتقوى العلاقة بسبب تردده، يدعونه لفنجان قهوة ويجلسن معه، ويصبح له عناوين متعددة في المدينة، يستريح بها، حيث كان يزور المدينة مرتين أسبوعيا.

ومع معرفتنا أن أبو العدس كان جريئا وصريحا، وناقدا مزعجاً، إلا انه لم يكن غشاشا، فكانت الجبن التي يصنعها في بيته من أنقى أنواع الجبن وأنظفها، حسبما قال معظم من اشتروا منه.

عمل المدرسان بالتعاقب على تثقيف أبي العدس ردا على كرمه معهما وتعلم منهما مبادئ الشيوعية. انقسم الناس أيامها وتبعثرت آراؤهم وتشتت بعد الهجرة والضياع الذي عاشه الفلسطينيون. قال الشيخ علي: «تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى».

انتشرت الأحزاب وانشغل الناس بها عن الوطن والهجرة وعن التحدث حتى عن محاولة الاستعداد لمقارعة العدو المغتصب، وعلى أمل الرجوع أو عودة بعض اللاجئين، أو لاسترجاع بعض الأجزاء مما فقدوا، وبعض القرى بقيت خاوية على عروشها مفرغة من سكانها لأكثر من عشر سنوات، ينتظر الصهاينة قرارا أمميا بإجبارهم على قبول عودة بعض اللاجئين الهاربين من الموت، لكن لم يحدث مثل ذلك، فأقدموا على تدمير كل أثر للفلسطينيين في القرى بين مدينتي اللد والرملة وخط وقف إطلاق النار.

يتدخل الحج داود لإيقاف الجدل بين الحاضرين حول الموضوع قائلا:

= أخطأ الفلسطينيون كثيرا، واقترف العرب أخطاء أكبر حين أحجموا عن سرعة تجنيد الفلسطينيين وتسليحهم وتدريبهم للجوء إلى السلاح، بدل التبرع بالكلام بأن جيوشهم ستقوم بتحرير ما احتله الصهاينة، والمفروض أن ذلك تم قبل فوات الأوان، أو لو ليتهم أقاموا دولة على الجزء الذي بقي من فلسطين.

أما أبو العدس فقاطعهم قائلا: «إن من أبشع أخطاء دولتنا الأردنية الجديدة هو منع من أراد من الفلسطينيين حمل السلاح لمقارعة الصهاينة».

لكن الحج أسعد أضاف: «بل قل لاقى الكثيرون منا عنتا ومطاردة وسجونا من الحكومات العربية المحيطة بفلسطين، جزاء محاولات محاربة الصهاينة أو اختراق الحدود دخولا إلى فلسطين. هل نسوا أننا على أرض فلسطين منذ ثلاثة آلاف سنة على الأقل؟ صار كل فلسطيني يدرك خيانة الدول الكبرى وعلى رأسها بريطانيا في فرض إقامة «دولة إسرائيل وبإصدار قرار تقسيم فلسطين من الأمم المتحدة لإقامة دولتين، فلماذا لم يدعموا الفلسطينيين ليقفوا على أرجلهم وليقيموا دولتهم كاليهود؟»

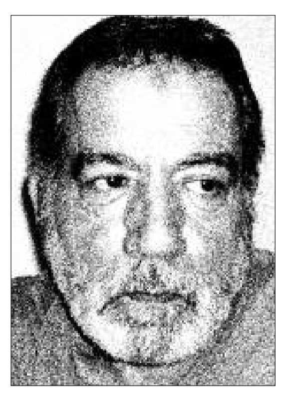
أجابه أبو العدس ساخرا: «احتج العالم أن الفلسطينيين والعرب رفضوا قرار التقسيم، ورفضوا قيام دولة لليهود على جزء من فلسطين، فلا هم كسبوا بلادهم الأصلية ولا صار لهم شخصية ودولة على الباقي من فلسطين، فثبت العالم إسرائيل وخلعوا الشأن الفلسطيني من عقولهم، فهل قرأوا قصة التحكيم بين علي ومعاوية؟ ولو بذلت دولة واحدة، عربية أو أجنبية مجهودا صادقا لأقنعت الفلسطينيين بإقامة دولتهم على أي أرض بقيت، أو حسب خطوط الهدنة الدولية التي افرها العالم البعيد، حكام معظم الشعوب الأخرى قالوا إن الأيام كفيلة بإيجاد حلول للنزاع المرير بين الفلسطينيين واليهود».

انشغل الناس بتأمين السكن المؤقت والغذاء بعد إتمام التهجير القسري، ثم والأدهى من ذلك انشغالهم بالأحزاب في تلك الظروف الصعبة، فأشغلهم ذلك عن مشكلتهم الأساسية، وهي ضياع الوطن والتهجير، ولم يكن من بين تلك الأحزاب حزب واحد انبثق في فلسطين ولا في الأردن حيث استقرّ معظم الفلسطينيين. طال انشغال الناس بمثل تلك الخلافات و»دولة إسرائيل» حديثة الولادة تستوعب المهاجرين من مختلف أنحاء العالم، وتوطنهم في كل موقع في فلسطين.

وأبو العدس ظل يكبر وتتحسن حالته المادية. غيّر مكان سكنه في القرية، وانتقل إلى عمان، ليفاجئ معارفه وأصدقاءه، بأنه يمتلك فيلا جميلة واسعة في موقع مميز في أحد جبال عمان، عاصمة الأردنيين والفلسطينيين.

زكي شيرخان

مرشّح ميت



كالعادة، بتكاسل وبصعوبة، نزع نفسه من السرير. للحظة فكّر أن يتصل بمديره ليطلب إجازة. من المؤكد أن الرجل لن يرفض. هل يستطيع؟ تخلى بسرعة عن الفكرة، ليس حياء لأن الأمر تجاوز حده، ولكنه لم يكن يعرف كيف سيقضي يومه. على الأقل في مكان عمله يمر الوقت أسرع.

«عليك أن تحمد ربك على أنك حصلت على وظيفة بينما مئات الآلاف من الشباب من أمثالك يتسكعون في الشوارع». هكذا كانت تجلده أمه في كل حين. والأكثر إيلاما كان عندما تُذكّره: «يجب أن تكون ممتنا لأبن عم أبيك سلمان الذي توسط لك للحصول على هذه الوظيفة».

«يا أمي لو تعلمين أن سلمان هذا ما هو إلا أحد تروس ماكينة الفساد لغيّرت رأيك». كان يردد هذا مع نفسه دون أن يجرأ على رفع صوته ليُسمعها. سلمان كان واضحا وصريحا إلى حد الوقاحة.

= لن يكلف تعيينك إلا هدية صغيرة للمدير العام. هدية بسيطة تعادل، لنقل خمسة رواتب شهرية مما ستتقاضاها.

= لكن...

= لا تشغل بالك، أنا من سيدفع ثمن الهدية إكراما لوالدك.

= في الحقيقة...

= أنت كأبيك تماما، لذا هو بقي على ما هو عليه. لا تريد أن يمنّ أحد عليك. حسنا سأعتبر ثمن الهدية دينا ميسّرا بدون فوائد، وبالتسديد المريح.

= كم كنت أتمنى لو تم تعيـيني دون رشوة.

= ما هذه الألفاظ السوقية التي يرددها الرعاع يا ولد، هذه تسمى منفعة متبادلة.

عرف فيما بعد أن ابن عم أبيه بدأ كصاحب محل لبيع القرطاسية. وبالصدفة، صار مُجّهزا لإحدى دوائر الدولة بما تحتاجه مما يتعاطى به. سرعان ما بدأت اللعبة. يعرض نوعية، ويجهز بأدنى منها. تطور الأمر بالتلاعب بالكميات. لم يكتفِ بالقرطاسية بل صار يجهز الأثاث لهذه الدائرة. منظومة الفساد التي ولج فيها من ثقب صغير أتاحت له الفرصة لغزو دوائر أخرى. موظفون كبار صاروا يلتمسون العمولات الدسمة التي يوزعها عليهم في الوقت الذي يكسب هو أضعافها المضاعفة.

كل ما عرفه عن سلمان لم يكن بإمكانه البوح به لأي أحد.

* * *

وهو في الشارع، نبّهته الصور الملصقة على الجدران بالانتخابات الرئاسية المزمع إجراءها بعد أسابيع.

انسحب تباعا المرشحون الخمسة ولم يبق إلا الرئيس الحالي. بعد فوزه المؤكد سيكون رئيسا للمرة السابعة.

«حكم لمدة ثلاثين عاما، ويطمع أن يزيدها خمسة أخرى»، دارت في رأسه هذه الجملة. «الرجل بدأ حكمه قبل أن أولد. لا بل بدأ قبل زواج أبي. هل ترى، إن تزوجتُ، سيشهد حكمه ابني؟ ليس هناك ما ينفي هذا الاحتمال». إلا إذا مات». كأن مفردة الموت قد صفعته.

توقف عن السير ملتفتا يمينا ويسارا كمن يبحث عن شيء في وجوه المارة. الرجل لم يره أحد خلال السنوات الثمانية الماضية. لم يلق خطابا. لم يستقبل أيا من ضيوف الدولة. لم يحضر افتتاح مشروع. كل ما يذاع عن نشاطاته هو إصدار مراسيم جمهورية بتغيير وزاري، أو تصديق على أحكام إعدام لأعداء النظام والعملاء ومريدو الشر بالوطن.

أين هو يا ترى؟ آخر ظهور له كان على كرسي متحرك وهو يغادر البلد لإجراء بعض الفحوصات الطبية خارج البلاد إثر وعكة صحية ألمت به، هكذا قالت وسائل الإعلام قبل ثمان سنوات. خبر عودته جاء على شكل بيان صادر

عن ديوان رئاسة الجمهورية يبشر أبناء الشعب الوفي لرئيسه الحكيم بعودته سالما.

وقف أمام صورة مبالغ في كبرها للسيد الرئيس. تأمل في سحنته. صرخ في سره: «هل أنت حي؟»

أحس بدوار، واعتملت في داخله مشاعر لم يستطع أن يحددها. كبح جماح غضب اجتاحه في رفع حجر من الأرض وقذفه باتجاه الصورة وصرخة يطلقها بأعلى صوته يسمعها الكل «متى متَ؟».

لم يعد يعرف هل يستمر في طريقه، أم يعود أدراجه، أم يجلس في أي مكان؟ في كل خطوة كان يخطوها كانت فكرة موت الرئيس تتعمق في عقله. «إن كان حيا فلم لم يظهر كل السنوات المنصرمة؟ وإن كان ميتا فكيف استطاعوا كتمان الخبر كل هذه المدة؟ من هم هؤلاء الذين استطاعوا؟»

ليس بإمكانه التحقق مما يدور برأسه. لا يمكنه تخمين ما الذي يمكن أن يحصل لو بث بما يعتمل في عقله لو أفشاه لأحد. «هذا يعني أن رئيسا ميتا يحكمنا طيلة هذه المدة، منذ آخر صورة ظهرت له على كرسيه المتحرك وهو يغادر البلد أثر الوعكة الصحية التي ألمت به. هذه الوعكة كانت بسيطة جدا. لم تكن أكثر من جلطة دماغية شلّت اليدين والرجلين، وأفقدته القدرة على النطق». هل أبناء بلده، وهو واحد منهم، بهذا الغباء بحيث لم يعوا؟

لا الرئيس حي، ولكنه ميت. حي لأنه يتنفس، ويحقن بالغذاء. ميت لأنه مصاب بشلل تام، وفاقد النطق، وقدراته العقلية محدودة لأنه وصل إلى أرذل العمريان لشعبنا الواعي الذي سيخرج بعد أسابيع لينتخب رئيسا ميتا.

* * *

في صباح اليوم التالي، كل ما فعله عند استيقاظه مبكرا على غير العادة، أن اتصل بمديره مخبرا إياه بعدم رغبته بالحضور. عاد لسريره شاخصا بصره في السقف. «لم يكف أنه حكمنا ميتا، ها هو ذا يترشح لولاية سابعة، يا لسخرية القدر».

ظل لساعات مستلقيا. سمع طرقا على الباب. سمع أباه:

= أهلا سلمان. خيرا، ليس من عادتك أن تزورنا في هذا الوقت. تفضل أدخل.

= كنتُ قريبا منكم، وحاصرتني التظاهرة، فأوقفت سيارتي في شارع فرعي، ثم جئتكم.

قفز من سريره، وأسرع مرحبا. جلس وكله لهفة لمعرفة المزيد.

= هؤلاء الجهلة يريدون أخذنا إلى الفوضى والدمار. يعترضون على ترشح الرئيس لولاية أخرى بكل وقاحة. على الجيش والشرطة وقوى الأمن أن تسحقهم.

= عندما رأيت شحوب وجهك، وارتجاف يديك، ظننت أن الأمر أسوأ من ذلك.

بامتعاض، قال: «وهل هناك الأسوأ؟»

= ظننت أن الرئيس قد مات. على كل حال أرى أن الجيل الجديد يرغب أن يرى جديدا. ثم أن الرجل قارب التسعين، وهو ما عليه من علة ظاهرة. فليدعوه يرتاح فيما تبقى من أيامه.

= يا أبي، الرئيس الحاكم مات من سنين طويلة. نحن نُحكم باسمه.

وبعصبية قال سلمان: «ماذا تقصد يا ولد، أتدرك خطورة ما تقول؟»

= حتى لو لم يدفن الرجل، أتعتبر رجلا شلّتْ أطرافه جلطة دماغية، ويكاد لا ينطق، وإن نطق يحتاج إلى من يفهمه.

= ألم يكن فرانكلين روزفلت مشلولا؟

= المقارنة ليست صحيحة، فرئيس الولايات المتحدة كان مصابا بشلل أطرافه السفلية، وعندما مات كان في بداية السبعين من عمره. روزفلت لم يلتصق بالكرسي لثلاثين عاما.

وباستهزاء: «ومن ترشح حضرتك؟»

= أظنكم تعتقدون أن ليس في البلد غيره يصلح للمنصب. أو بالأحرى... على مدى الفترات الخمسة، وأوضاع البلد تسوء، والبطالة تتفشى، والفساد أتى على الأخضر واليابس. إن لم يتم تدارك الأمر من قبل من تبقى من عقلاء النظام فإن المظاهرات لن تكتفي برفض ترشح ميت للرئاسة بل سيتعداه لمطلب إسقاط النظام.

نهض، واتجه صوب الباب.

= إلى أين أنت ذاهب؟

= إلى الشارع لأرى إلى ما ستؤول إليه الأمور.

فنار عبد الغني

الـبـاشــا



لم يعرفوه من الضباب المتكاثف مع ارتعاشات الظلام. وللوهلة الأولى، اعتقدوا أنه شبح تائه يهذي في هذه العتمة القارسة. لقد خرج عليهم كشبح متنكر بحزمة ألوان قاتمة. هيئته الغريبة ألقت عليهم نوعا من الدهشة الممزوجة بالرهبة. كان هو أيضا خائفا ومرتبكا، يقدم خطوة بطيئة إلى الأمام ويؤخر خطوتين سريعتين إلى الخلف، يريد العودة إلى باطن الجبل.

ورغم الجموع الغفيرة من العمال ورجال الأمن الذين كانوا في حالة شديدة الغرابة، إلا أن الرعب كان قد نال منهم لدرجة أفقدتهم التفكير والحركة، الأمر الذي حمل ضابط الدورية على إصدار أمر بإطلاق النار على هذا الشبح القاتم الألوان في حال تقدمه خطوات جديدة إلى الأمام.

الجميع كان في حالة انتظار: الشبح كان ينتظر مغادرتهم ليتقدم إلى الأمام. العمال الكادحون كانوا بانتظار صديقهم العزيز، ورجال الأمن كانوا ينتظرون خروج سعادة الباشا لنقله إلى بيته سالما.

لكن هذا الشبح أثار فزعهم وتساؤلاتهم، وأخذ العمال يفكرون بالأسوأ: ربما هذا الشبح ليس شبحا بل غول ابتلع صاحبهم في جوف الجبل. وقد سرت هذه الفكرة كما تسري النار في الهشيم، وانتقلت إلى رؤوس رجال الأمن. أما الضابط فقد أمر باستدعاء المزيد من الرجال وتشكيل طوق أمني حول معمل الحجارة.

قال أحدهم: «لا يوجد غول. هذا حيوان من حيوانات الجبل التي لا تخرج إلا ليلا».

لكن الأمر سيان، سواء أكان هذا شبحا أم غولا أم حيوانا جبليا، فالعمال كانوا يخشون أن يمس صاحبهم مكروه، والضابط ورجاله كانوا خائفين على الباشا من العمال ومن الليل.

عاد الشبح إلى جوف الجبل. الصمت والقلق خيما على الجميع ولم يقطعهما إلا هدير بعض الشاحنات المحملة بالبضائع، والعديد من العمال الفلسطينيين الذين أنهوا عملهم وخرجوا يمشون جماعات قافلين إلى شوادرهم في المخيم.

أخذ العمال يروحون عن أنفسهم بالكلام عن الباشا. كان رجال الأمن اللذين يطوقون المكان منذ ساعة تقريبا، بسبب خبر سمعه أحد رجال الأمن، الذي سأل بدوره العمال عن سبب تجمعهم بعد انتهاء عملهم، فأجاب هذا الأخير بأنهم ينتظرون الباشا، فقام رجل الأمن بإبلاغ الشاويش عن وجود باشا في معمل الحجارة، والشاويش بلّغ الضابط، الذي حضر بنفسه للاهتمام بالموضوع.

كان رجال الأمن يتشوقون لرؤية الباشا الذي يعرفه العمال اللاجئون، لذلك أخذوا يصغون إليهم باهتمام لمعرفة الباشا ورسم صورة له في مخيلتهم.

قال أحد العمال: «الباشا ابن عائلة كبيرة في قضاء عكا. إنسان كريم الأخلاق، جواد وفارس، أصيل، لكنه أجبر على الرحيل كغيره من الفلسطينيين. الباشا إنسان متواضع ليس كغيره من الباشوات».

قال العمال: «إنه يستحق أن ننتظره في هذا الليل البارد».

وقال عامل آخر: «لقد أعطاني ما معه من نقود، عندما سمع سعالي ولهاثي الشديد. خاف عليّ أن أفصل من العمل، ورافقني إلى المستشفى لأتعالج».

قال عامل ثالث: «لقد حملني الباشا على ظهره عندما وقعت على كومة أحجار في المعمل».

قال عامل رابع: «لقد زارني الباشا في شادري يوم العطلة».

في جوف الجبل، كان يجلس عامل أنهكه التعب. جلس متكوّما على نفسه لا يقوى على الحركة. ولما أحس ببعض القوة، قام ليسحب قسطا من الهواء النقي، لكنه سمع جلبة لم يفهمها عقله، فتراجع إلى الخلف، ودخل الجبل ريثما يهتدي إلى تفسير ما.

اعتقد أنهم اللصوص الغرباء الذين احتلوا أرضه وبلاده، الذين لا يشبهون أحدا منهم: لغاتهم غريبة وأشكالهم غريبة، ولا يجمعهم سوى الزي العسكري الموحد والأسلحة التي يحملونها ويقتلون بها الفلاحين دون أي ذنب. اللصوص الغرباء الذين لا يشبهون لون أرض فلسطين ولا يفقهون لغتها ولا قصص

الحقول والينابيع والمطر. في وطنه فلسطين، كانوا دائما ينشدّون للطّبيعة، ولذلك نمت الأشجار ونما الزرع وتدفقت المياه من الينابيع.

أعادت أصوات الأسلحة القادمة من خارج الجبل جمر ذكريات سنة 1948: سنة النكبة. نزفت الذاكرة سيل الصور، وتجسدت أمام عينيه مشاهد قطيع اللصوص الغرباء وهم يقتحمون قريته، ويطلقون النار على كل من يرونه، ثم أخذوا يدمرون البيوت بعد أن سرقوا حلي النساء ونهبوا الماشية ونبشوا جيوب من قتلوا من الفلاحين.

في تلك الليلة المشؤومة، فقد عائلته بأكملها. واضطر للفرار لينقذ أحد الجرحى من أبناء قريته وينقله على ظهره إلى قرية مجاورة، سالكا طريق البساتين.

أقعدته الجراح على الأرض، وكبلت تفكيره وحركته، ولبث في مكانه، لا يدري ماذا يفعل.

بعد طول انتظار، تطوع أحد العمال للدخول إلى الجبل في هذا الظلام وبعد أن توسل رجال الأمن طويلا. أخيرا سمحوا له بالدخول. مكث قليلا ثم عاد حاملا رجلا طويلا، مكسوا بالغبار الذي طمس ملامحه، أخذ الرجل يسعل سعالا متقطعا ويتصبب عرقا. تدافع عليه العمال. أخذوا ينفضون عنه الغبار، ويقدمون له الماء، وهم يقولون: «الحمد لله على سلامتك يا باشا».

حمل العمال الرجل فاقد الوعي على أكتافهم ومضوا به إلى المخيم، ووسط استغراب ودهشة رجال الأمن ونظرات غيظ الضابط، قال أحد رجال الأمن: «فكرنا الباشا باشا، طلع الباشا زلمة».

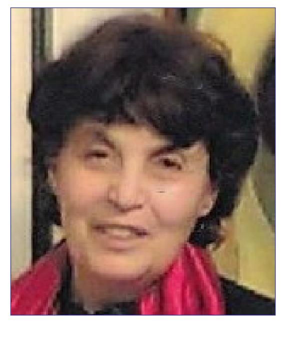
زهرة زيراوي

ثقافة الصورة ودورها

نشر الموضوع أدناه في العدد الشهري 100 (2014/10) من مجلة «عود الند» الثقافية ضمن مواد ملف ثقافة الصورة. وهو من تأليف الفنانية الشكيلية المغربية الراحلة، زهرة زيراوي.

ثقافة الصورة ودورها: جدارية جرنيكا لبيكاسو نموذجا

تعريف الصورة



الصورة هي الشكل والمثال، كصورة الشخص في المرآة، أو الصورة بآلة التصوير. والصورة عند أرسطو هي الشكل الذي يكون عليه الشيء، وعند أفلاطون هي المثال الأصلي للشيء في نظرية الصور عنده. والصورة من الرسالة أو المكتوب هي النسخة طبق الأصل. والصورة هي الطريقة، ويقال كان على صورة كيماوية، ويقال كان هذا بصورة خاصة، وأعطي فلان هذا الحق بصورة خاصة، ويعتبر هذا القول بصورة عامة. والجمع صور. والتصوير هو إيجاد مثال للشيء مطابق له، إما بالرسم وإما بالعدسات الضوئية وإما بالألوان (1).

اللغة والصورة

يحيلك اللفظ القوي على استحضار الشكل، فعندما نقرأ مثلا في القرآن الكريم «أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا» (سورة

الكهف؛ الآية 9)، فلفظ صورة الكهف يحيلك على شكل الكهف. ولكن لفظ الرقيم يحدد لك شكل التصور: إنه الكهف المحفور في الصخر.

إذن اللغة تحفز العين أن تتصور الشكل اللغوي، والعين بدورها تقوم بدور الكتابة المرئية أو الكتابة البصرية. بمعنى من المعاني، للعين لغة، فإذ كانت لغة الكتابة تشتغل على ما يلفظه اللسان فالعين تشتغل على التركيب الضوئي، إذ تتكون الصورة الحقيقية من الأشعة الضوئية التي تأتي من الجسم ولها دورها في التواصل. فماذا عن لغة الصورة؟ وهل تتقاطع مع اللغة الطبيعية التي تشتغل على اللسانيات ؟ أليس هناك قاسم مشترك بين اللغة والصورة خاصة في مفاهيم مثل العلاقة بين الدال والمدلول؟ ألا تتشكل في الأخير عناصر مشتركة بين أنظمة التواصل؟

ما يحدث اليوم من الصور والإشارات والنصوص المرئية على الشاشات الإلكترونية الدائمة البث، وأثر الصورة الإشهارية على قيم المتلقي وثقافته بات يشكل تهديدا لمنظومات القيم والرموز وتغييرا في المرجعيات الوجودية وأنماط الحياة. العالم اليوم يجتاحه طوفان من الصور. لقد باتت كثير من الثقافات والشعوب عارية أمام تدفق الرسائل والعلامات التي تحمل معها أبطالا ورموزا جديدة تمتلئ بها مخيلة المشاهد.

الناس يجتمعون اليوم حول الفضائيات وشبكات التواصل ليتلقوا أنماطا أخرى من الحياة على غير تاريخ حضارتهم. إنه إنتاج لحيوات أخرى بعيدة كل البعد عن أسلوب حياتهم الذي ينتمون إليه. وهذا ما حذر من مغباته الكاتب أنطونيو غالا: كان في العالم سيدة وخادمتان، السيدة هي الثقافة والخادمتان هما السياسة والاقتصاد، وقد استولت الخادمتان اليوم على مكان السيدة الثقافة.

إن ثقافة الصورة اليوم تدفع إلى صياغة لبشر جدد انسلخوا عنما كانوه ليكونوا وفق ما أريد لهم أن يصبحوا عليه. صياغة أخرى تدفع نحو لهجات بدل اللغة الأم تطالعنا عبر الإشهارات في أهم شوارع المدن العربية متحدية اللغة الأم والمشاعر الخاصة للأفراد. إنها سيادة العولمة، والرأسمال، وأسواق أخرى يراد من ورائها، إضافة لتغيير الهوية، الربح الاقتصادي وبرمجة فكر الأفراد والمجتمعات.

يداهمنا الجنون فيما نؤول إليه، فيما يحيط بنا من صور وما يحاصرنا من أخبار وأسواق: ما الحقيقي فيه وما غير الحقيقي؟ نعم علينا أن نرى العالم،

أن نلجه وألا نذوب فيه، أن نرى ما ينز من أطرافه المترامية ، ثم نمضي نحو سؤال الذات وليس سؤال الصورة ، تتسع حلبة الصورة في العالم العربي، ونظل شاهدين على زمن يمشي ولا يمشي، زمن يتحرك ولا يتحرك فاتحين في هذا الفراغ المتسع فمنا على مصراعيه.

إن عملية الجذب في مشهد الصورة الثقافي اليوم هو الاكتفاء بالتقليعات والاحتفاء بالمصطلحات الغربية وفق تطلعاتهم. كل هذا لا يعني التصحر، بل القتل. يقول الدكتور بركات محمد مراد، الأستاذ بجامعة عين شمس، في إطار العولمة والصورة وتعزيز الهوية والاستلاب:

«فما يحدث اليوم من الصور والإشارات والنصوص المرئية على الشاشات الإلكترونية الدائمة البث، بات يشكل تهديدا لمنظومات القيم والرموز وتغييرا في المرجعيات الوجودية وأنماط الحياة، فباتت كثير من الثقافات والشعوب عارية أمام تدفق الرسائل والعلامات التي تحمل معها أبطالا ورموزا جديدة تمتلئ بها مخيلة المشاهد»(2).

كم نحِنّ إلى ثقافة الصورة القادمة من الفكر الحر، الفكر الذي لا يغيب عنه ما يحل بالعالم اليوم من خراب، فيرصده صباغيا أو إشهاريا أو إعلاميا، تحيلنا ثقافة الصورة على جدارية جيرنيكا (guernica) لبيكاسو وعلى دورها في المقاومة، لقد حل العمل الصباغي محل المقاومة، يقول عنها الكاتب فواز طرابلسي:

«فرضت الجدارية نفسها لا على وسط فني محدود فقط، ولكن على الرأي العام العالمي كذلك، وسرعان ما تحولت إلى علامة بارزة من علامات ثقافة بيكاسو، ولم تكتف بمواصلة النضال ضد الفاشية والحرب، بل أسهمت إلى ذلك في مهمة أشمل وأكثر طموحا، إنها مهمة تكوين وبلورة رأي عشرات الملايين من البشر عن أنفسهم، وعن عصرهم، وعن المصير الإنساني المشترك، وظلت الجرنيكا في الوقت ذاته عصية على القوننة والتكريس، ولم تتخل عن دورها كعنصر إثارة للحماسة والسجالات التي لا تنتهي»(3).

نعم لقد كانت قصة الجرنيكا أبلغ شهادة معاصرة على بلاغة الفن وقوة

لغته أيضا. لكن لا نقف عند جرنيكا الغرب فهناك ملصقات النضال العربي خاصة الفلسطيني نراها لا تقل عنها أهمية وقيمة.

= = = = = =

الهوامش

(1) حسن سعيد الكرمي. الهادي إلى لغة العرب. الجزء الثالث. بيروت: دار لبنان، 1991.

(2) بركات محمد مراد. آليات العولمة وأقنعتها الثقافية: مجلة الوعي المعاصر، العددان11/10 لبنان شتاء 2003.

(3) فواز طرابلسي. 1987. غيرنيكا-بيروت. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1987.

أرشيف المجلات الرقمية

مجلة رسالة الأديب المغربية

أدناه مقتطف من افتتاحية العدد الأول من مجلة «رسالة الأديب» الصادرة في المغرب في مطلع عام 1958. المصدر أرشيف المجلات العربية. رابط الأرشيف في ختام المقتطف.

رسالة الأديب: مجلة شهرية تبحث في الأدب والفكر والسياسة والاجتماع. تصدرها «جمعية الأديب» بمراكش.

مدير المجلة ورئيس التحرير: محمد الخطيب

السنة الأولى: يناير 1958. العدد الأول.

افتتاحية: خطتنا

لا ريب أن إمكانيات من الفعالية الخلاقة تكمن في جمهورنا المغربي. وأن نزوعا متواليا إلى المثالية الصالحة تصطرع في نفسيته، وإن يكن اصطراعا يكتنفه الغموض والإبهام، ويعوزه فتح مجال الانطلاق والتفتق أمامه.

وأن الامتخاضات التي تتعرض لها أمتنا في الظروف الحالية، والحالة النفسية التي يعيش الجميع عليها كرد فعل لتحقيق الاستقلال - لفي أشد الحاجة وأعنفها لمن يكشف مطالبنا الروحية من خلالها، ولمن يعطي ثورتنا الحاضرة تفسيراتها الفلسفية ومرابطها الروحية العامة، لتتحول مداركنا إلى مظاهر، بل شحنات من الحيوية والحماس.

والمعركة في الواقع هي معركة الحرية. الحرية لا في معانيها التجريدية الزاهية، ولا في خلابة الأغاني التي يرتلها العالم كله لتمجيد الحرية وقداسة

مراميها ـ ولاكن الحرية في قيمتها العملية، ومدلولها الإنساني بالنسبة لكل فرد ولكل مجتمع وفي طاقات الخير والبناء التي تحمل بها الحرية إلى المجتمع الذي يؤمن بها. كذلك السعادة وطمأنينة الفكر والوجدان. ذاك أن إيماننا بالحرية هذه كان -ولا يزال ـ أضعاف إيماننا بأنفسنا. وأن مسؤوليتنا للحرية بعد الاستقلال هي أضعاف مسؤوليتنا إزاءها قبله.

ودور الثقافة وخدمة شؤون الفكر والأدب إنما يقع من المسؤوليات إزاء هذا كله في أشقها. ومن الأمانة في أثقلها حمولة وتبعة، وخصوصا في أمة كالأمة المغربية، تقف من كل شيء في بداية النشوء والتكوين، دون أن تكون لها سابقة من تقاليد أو عوائد في شؤون الثقافية والحضارة العصرية. ذالك أن للثقافة وللأدب رسالة، وفي عنق الأديب والمثقف أمانة وتبعة، هي أن تفتق في ذهنية الجماهير نزوع المثالية الفردية والجماعية، وأن تبذر في نفوس الأمة معاني السمو والنبالة في الفكر والمعاملة والذوق. وتنمي الشعور بالحرية ومسؤولياتها، ثمت أن تحدد مناهج العمل ومسالك الاتجاه، وتعطى لكل منهج ومسلك مدلوله المعنوي.

ولأننا نؤمن أن الثقافة ـ في معناها الأوسع ـ هي القوة الشعورية التي تهضم المعاني الخفية لأسرار جميع الحركات والأعمال وتبين مكامن الروحية العامة في الحياة. ثم تعطي لجميع المناشط اتجاهاتها المثالية المرسومة المناهج، المحددة الأهداف. وبالتالي، تكشف عن قيمة الفرد، وصلاحية الإبداع فيه. ثم تؤلف هذه الصلاحيات لخدمة السعادة الجماعية والأهداف السامية لوجود الإنسان وكماله.

===

ملاحظة: لاكن؛ ذالك؛ ثمت في النص الأصلي.

مختارات: مقتطف من تقرير

الزواج والطلاق والترمل

أدناه مقتطف من تقرير حول «الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية للمرأة والفتاة الفلسطينية: تموز/يوليو 2016 - حزيران/يونيو 2018». التقرير صادر عن اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا (اسكوا). تاريخ النشر: 2019. يركز المقتطف على الزواج والطلاق والترمل في الأراضي الفلسطينية المحتلة.

تحافظ الثقافة الفلسطينية على التزام قوي بمؤسسة الزواج. مع ذلك، وفي حين تتضاءل كثيرا نسبة من لم يتزوجن أبدا في بعض الدول العربية بعد سن 30-35، ترتفع هذه النسبة نسبيا في الأراضي الفلسطينية المحتلة بين من تتراوح أعمارهن بين 45 و 54، إذ تبلغ 8.5% (خاصة في الضفة الغربية، حيث تبلغ أكثر من ضعفها في غزة: 7.10% مقارنة بـ 5%) [73].

غير أن سبب هذه الظاهرة غير واضح، رغم أن بعض الدارسين لاحظ في وقت سابق أن نسبة من لم يتزوجن أبدا أكبر بين النساء الأكثر تعليما وبين النساء الأقل تعليما [74]. وفي المجمل، تشكل الأسر المعيشية التي تعيلها امرأة نسبة 11%، والمعدلات متشابهة بين الضفة الغربية (12%) وغزة (%)[75].

وتعدد الزوجات آخذ بالانخفاض. ووفقا لدراسة أجريت في عام 2017، قال 1% من الرجال إن لديهم أكثر من زوجة، في حين قالت أقل من 1% من النساء إن أزواجهن لديهم أكثر من زوجة، ويتفق ذلك مع نتائج المسوح الوطنية [76]. ولا تزال معدلات الطلاق في الأراضي الفلسطينية المحتلة منخفضة. ومعدل الطلاق أعلى بشكل ملحوظ بين الإناث (1.8%) منه بين الذكور (0.3%) [77]. وعلى نحو مشابه، نسبة الانفصال والترمل أيضا أعلى بين الإناث (5.9%) منها بين الذكور (0.6%) [78].

وهكذا فإن معدلات الطلاق والانفصال والترمل بين النساء أعلى منها بين الرجال. وقد تكون نسبة الترمل أعلى بين النساء بسبب عوامل من مثل ارتفاع العمر المتوقع للمرأة، ولأن الرجال في أحيان كثيرة يتزوجون نساء أصغر سنا. كما يميل الرجال أكثر للزواج مرة أخرى بعد وفاة الزوجة مما تفعل الزوجات بعد وفاة الزوج.

وفي غزة أثار ارتفاع معدل العنف السياسي المخاوف حول تزايد عدد الأرامل النساء. وهناك أيضا تقارير تفيد أن المطلقات والمنفصلات يعانين أكثر من نظرائهن من الرجال قيودا اجتماعية تحول دون قدرتهن «على التنقل بحرية والانخراط في أنشطة إنتاجية خارج المنزل وعموما ممارسة حقهن في اختيار مسار حياتهن وحياة أطفالهن» [79].

وتبلغ نسبة المتزوجات المسنات 54% فقط مقارنة بـ 93.5% بين المسنين. كما تبلغ نسبة الأرامل المسنات 37% مقابل 5.2% لأرامل بين المسنين الرجال [80].

= = =

الهوامش

[73] دولة فلسطين، مكتب رئيس الوزراء، وصندوق الأمم المتحدة للسكان، 2016.

[74] جونسون، 2010.

[75] دولة فلسطين، الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، 2018.

[76] كُتّاب وهيلمان، 2017.

[77] دولة فلسطين، الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، 2017ب.

[78] المرجع نفسه.

[79] دولة فلسطين، مكتب رئيس الوزراء، وصندوق الأمم المتحدة للسكان، 2016.

[80] دولة فلسطين، الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، 2018.

= = =

يمكن تحميل التقرير كاملا من موقع اسكوا:

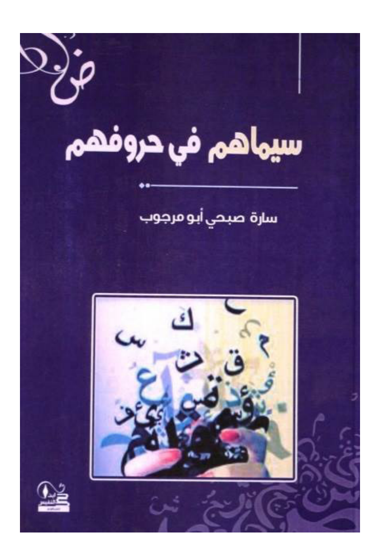
https://www.unescwa.org

إصدارات: سارة أبو مرجوب

سيماهم في حروفهم



صدر للكاتبة سارة أبو مرجوب كتابها الأول «سيماهم في حروفهم»، وهو يضم أكثر من ستين نصا قصيرا، ومجموعة من الومضات. الناشر: دار ابن النفيس، عمّان، الأردن، 2019. أقيم للكاتبة حفل إشهار وتوقيع في عمّان في مقر منتدى البيت العربي الثقافي يوم الإثنين، 22/4/2019، تضمن كلمة قدمها الكاتب أحمد أبو حليوة، وأشرف على إدارة الحفل الكاتبة سوزان الأجرودي. أدناه نصص من الكتاب الجديد، ص 51.



نشرة المزاج

نشرة المزاج تقول:
هناك أجواء
يكسوها ضباب الكذب
وزخات من الخذلان
وانعدام رؤيا الحق
مع بقاء أحوال الصدق غير مستقرة.

إصدارات: أصيل الشابي

هدية لمجلة «عود الـنـد»

أهدى الباحث التونسي، د. اصيل الشابي، مجلة «عود الند» الثقافية نسخة ورقية من كتابه الصادر في الآونة الأخيرة وعنوانه: «الخطاب الرسائلي عند عبد الحميد الكاتب: مقوماته وخصائصه». الناشر: دار الاتحاد، تونس، 2019. «عود الند» تشكر الباحث على الهدية القيمة. لقراءة مقتطف من الكتاب، استخدم/ي الرابط التالي:

https://www.oudnad.net/spip.php?article1966



«عـود الـنـد» تبدا العام 14

تغيير عرض المحتوى



بصدور العدد الفصلي الحالي من مجلة «عود الند» الثقافية، أي العدد الفصلي الثالث عشر (صيف 2019)، تبدأ «عود الند» العام الرابع عشر من النشر الثقافي، منها عشر سنوات كمجلة شهرية، ثم كدورية تصدر أربع مرات في السنة.

ويصدر هذا العدد بحلة جديدة، فشكل موقع المجلة مختلف قليلا عن شكله طيلة الأعوام الثمانية الماضية. سبب التغير ليس المظهر، بل تسهيل تصفح محتوى المجلة باستخدام الهواتف الجوالة، فقد أظهرت الإحصاءات التي تجمعها غوغل عن موقع المجلة أن حوالي ثلثي زيارات الموقع تتم باستخدام الهاتف الجوال.

كان ممكنا من قبل استخدام الهاتف في تصفح «عود الند»، ولكن المختلف الآن هو أن محتوى المجلة يتكيف من نوع الجهاز المستخدم في التصفح، فإذا تم هذا باستخدام حاسوب، سيكون له مظهر، وإذا استخدمت الهاتف سيكون له شكل آخر. قبل هذا العدد، كان الهاتف الجوال يعتمد على تصغير صفحة «عود الند» فتظهر لك بأعمدتها الثلاثة، وينتج عن ذلك تصغير شديد للحروف. وفق الأسلوب الجديد، سيتعرف موقع المجلة على نوع الجهاز المستخدم في التصفح، ويعرض لك المحتوى بطريقة مناسبة للجهاز.

ليس في التغيير من أجل المظهر نقيصة. ونأمل أن يجمع التغيير بين حسن المظهر وسلاسة عرض المواد. الاختلاف الأكبر بين الموقع في حالته السابقة والحالية هو غياب العمود الثالث، والقوائم المنسدلة التي كانت تتيح

للزائر/ة تصفح مواد المجلة وفق تصنيف المواد، علاوة على تصفحها وفق نظام الأعداد.

لكل تغيير سلبيات وإيجابيات. ودائما هناك حاجة للتآلف مع التغيير قبل الحكم بواقعية إن كان تغييرا إيجابيا أم لا. أيضا سوف تستمر عملية التقييم والتعديل لخدمة عرض محتوى المجلة بسرعة وبأسلوب مريح للعينين.

ترحب «عود الند» بالملاحظات على المظهر الجديد، ونرجو تنبيهنا إلى أي مشكلات لنسارع إلى حلها.

«عـود الـنــد» بإيجاز

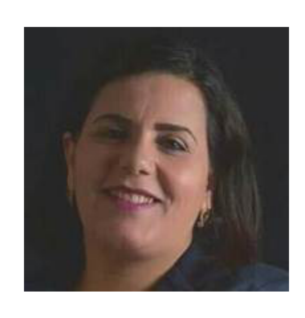
صدر العدد الأول من مجلة «عود الند» الثقافية في مطلع حزيران (يونيو) 2006، وانتظمت في الصدور شهريا عشر سنوات متتالية، وصدر منها 120 عددا شهريا. حصلت «عود الند» على رقم تصنيف الدوريات الدولي (ISSN) من المكتبة البريطانية، الهيئة المسؤولة عن تخصيص هذا الرقم للمجلات الورقية والرقمية التي تصدر من بريطانيا. الرقم الخاص بمجلة «عود الند» هو: 4212-ISSN 1756

في عام 2016، تحولت «عود الند» إلى مجلة فصلية، أي تصدر أربع مرات في السنة. ويصدر كل عدد فصلي بصيغتين رقميتين: نصية، وهذه تقرأ في موقع المجلة (oudnad.net) ويمكن التفاعل معها بالتعليق على موادها. والثانية صيغة بي دي اف، وهي الصيغة الرقمية التي تحاكي النشر الورقي. أعداد بي دي اف متوفرة للتحميل من خلال موقع المجلة.

مجلة «عود الند» كانت ولا تزال مبادرة ثقافية لا تهدف إلى الربح، وموقع المجلة خال من كل أنواع الإعلانات، ولا توجد قيود أو شروط على تصفح أعداد المجلة، وهي مصدر معرفي مفتوح 24 ساعة يوميا طيلة أيام السنة. تطبق المجلة معايير جودة على ما تنشر. ويكتب في المجلة محبّات ومحبّو اللغة العربية في الدول العربية والمهجر.

عن لوحة الغلاف

د. فوزية ضيف الله



لوحة الغلاف من إبداع الفنانة التشكيلية التونسية، د. فوزية ضيف الله. الفنانة في سطور:

= خريجة دار المعلمين العليا في تونس.

= أستاذة مبرزة في الفلسفة.

= حاصلة على الدكتوراه في الفلسفة المعاصرة.

= تدرس بالمعهد العالي للعلوم الإنسانية بتونس منذ 2003.

معلومات عن لوحة الغلاف: الأبعاد: 80x60 سم. تقنيات مختلطة على القماش.

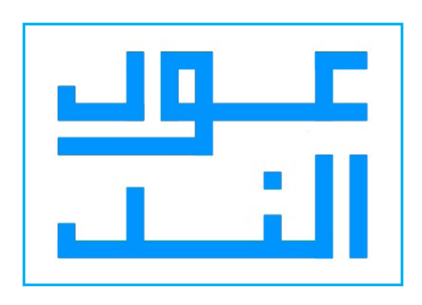
المزيد من أعمال الفنانة في صفحتها في فيسبوك:

https://www.facebook.com/faouzia.dhifalah

الصفحة الأخيرة

مقاييس رقي المجلات الثقافية

أدناه فصل من كتاب جديد عنوانه «المجلات الثقافية الرقمية: تجربة عود الند، 2006-2019». يناقش الفصل مسألة إصدار الأحكام على مدى رقي المجلات الثقافية. وشرح أن المسألة ليست مرتبطة بعصر النشر الرقمي، بل تم نقاشها في عصر المجلات الثقافية الورقية.



عندما ينشر موقع ثقافي نصوصا بأسلوب النسخ واللصق، وبالتالي تتضمن أخطاء إملائية ونحوية، لن يختلف اثنان على أن موقعا كهذا ليس موقعا ثقافيا راقيا، بل يشارك في تعميم الضعف في مستويات الكتابة، ويمنح الكاتبات والكتاب ثقة زائفة في مقدرتهم على الكتابة. ولكن إذا كانت هناك مواقع ومجلات ثقافية تطبق معايير جودة، كما تفعل «عود الند»، هل توجد عندئذ معايير موضوعية لاعتبار هذه المجلة راقية، وأخرى لا؟ هذه المسألة ليست جديدة. استفتت مجلة «الآداب» في العدد العاشر (1953) مجموعة من ذوي العلاقة بنشر المجلات عن ذلك. وهذه صيغة السؤال (ص 12):

> «تعاني الصحف الأدبية في العالم العربي أزمة خانقة تتمثل في اضطرار كثير من المجلات الفكرية الراقية إلى الاحتجاب. فما هي الأسباب العميقة التي تعزون إليها هذه الأزمة[؟] وكيف تداوى؟»

يلاحظ استخدام صفتي الأدبية والفكرية كما لو كانتا نعتا واحدا، بينما في

الواقع تختلف المجلة الفكرية عن الأدبية. ولكن يبدو أن إطلاق صفة فكرية على مجلة أدبية كان متداولا، فمجلة «الآداب» كانت تصف نفسها منذ عددها الأول (1953) بأنها «مجلة شهرية تعنى بشؤون الفكر». ليس مستغربا من مجلة أدبية أن تنشر موضوعات فكرية، ولكن المجلة الفكرية تختلف عن الأدبية. الملاحظة الأخرى على موضوع الاستفتاء هي اقتصار السؤال على «المجلات الفكرية الراقية»، ما يوحي ضمنا بوجود مجلات فكرية غير راقية، وهذه لا تضطر إلى الاحتجاب.

نعود إلى موضوع هذا الفصل، وهو مقاييس رقي المجلات الثقافية. من ضمن الذين أجابوا عن السؤالين غالب طعمة فرمان الذي عزا أزمة الصحافة التي يتحدث عنها الاستفتاء إلى غياب الحرية في الدول العربية. ولكن رده لا يغفل الإشارة إلى المجلات «الفكرية الراقية» فيعلق على ذلك بقوله:

> بقي لي أن أسأل: ما المقصود بالمجلات الفكرية الراقية؟ فالواقع أن هذه التسمية كليلى، كل قيس يزعم أنه صاحبها - وقيس هنا صاحب كل مجلة. فبعض المجلات تعتقد أن الثقافة الراقية هي تلك التي يستطيع أي كتاب أصفر أن يزودنا بها. وبعضها يظن الثقافة الراقية تمجيد كل أثر غربي مهما يكن نوعه واتجاهه. وبعضها يخال الثقافة الراقية الاشتراك في جدل بيزنطي حول موضوعات تكسرت أقلام الكتاب في بحثها والجدل فيها، كأن يجادل حول الثقافة العربية وأثرها في الغرب، وكأن تثبت علاقة الفنان بالمجتمع، أو كأن تبحث صلة الفن بالأخلاق، إلى غير ذلك. والواقع أن مثل هذه الموضوعات ما هي إلا معاول لتهديم أية مجلة أدبية مهما يكن حظها من جودة الطباعة وحسن الإخراج، فالقارئ لم تعد تثير في نفسه هذه الموضوعات أي دافع إلى القراءة إن لم تبعث السخط في نفسه (ص 16).

ولكي أعطي صورة أفضل عن الإجابات، سأورد رأي مشاركين آخرين في الاستفتاء. يقول عيسى الناعوري (الأردن) في رده (ص 14):

> إن القراء يذكرون كيف كان التهافت على مجلتي الرسالة والثقافة على أشده - قبل الحرب الأخيرة فقط [العالمية الثانية] - يوم لم يكن لأدب الكباريهات العاري وجود محسوس، فلما طغت على الأسواق الصحافة التجارية الملونة - أثناء الحرب وما بعدها - يبدو لي أن المعلم والمدرسة قد

> فقدا أثرهما في التوجيه الثقافي الصحيح، أو استسلما إلى تخدر الإحساس دون المسؤولية التهذيبية، وتركا الطالب يضيع بين معروضات المكاتب، ولم يعد ينصرف همهما إلى أكثر من تحفيظ الدروس المقررة في المنهاج لأن «الشهادة» في رأي أغلب الناس عندنا هي «الثقافة».

لاحظ/ي معي في المقتطف السابق تصنيفي أدب راق، وأدب كابريهات. لا أعرف نوع المجلات التي يتحدث عنها الناعوري التي تنشر أدب كابريهات، فلو كان يقصد مجلة تهتم بأخبار الفنانات والفنانين، فإن مجلة كهذه لا تعتبر أدبية، وما تنشر ليس أدبا.

وممن ردوا على سؤالي استفتاء «الآداب»، عبد اللطيف شرارة، الذي أشار إلى كيفية حل الأزمة (ص 13):

> ولن يكون العلاج الشافي - كما يلوح لي - إلا حين يخرج ساسة العرب وحكامهم في شتى ديارهم وأقاليمهم، من كهوف مصالحهم الشخصية، ومنازعاتهم الإقليمية، وخصوماتهم العتيقة البالية، ليواجهوا العالم الحديث بفكر حديث يستهدف العدالة والحرية والكرامة الوطنية والسلامة الاجتماعية، ويسهموا بعد ذلك إسهاما صحيحا فعالا، في معالجة المشاكل الدولية، والقضايا الإنسانية، بحزم وجرأة.

يقترب شرارة من التشخيص السليم بإشارته إلى واقع لا يزال سائدا في الدول العربية. هناك سقف لمدى التطور الثقافي والفكري طالما بقيت الحرية في الدول العربية تعتبر خطرا على الحكام. ويتبين من المقتطفات أعلاه أن محتوى المجلات الثقافية ورقيها مسألة نقاش قديم. ويتسم قول فرمان بالدقة، فكل من يقف وراء إصدار مجلة ثقافية يعتبرها الأفضل، وقد لا يعترف بوجود غيره في الساحة.

بناء على ما سبق يتضح أنه عندما يتعلق الأمر بمجلات تطبق معايير جودة مثلما تفعل «عود الند»، يكون الحديث عن رقي محتوى مجلة أكثر من أخرى مسألة أحكام ذاتية وأذواق. وهذه مسألة نقاش قديم حدث على صفحات مجلة «الآداب». وفيما يلي مقتطفات من نقاش غير مباشر بين تيسير السبول وسلمى الخضراء الجيوسي حول ست عشرة قصيدة نشرتها «الآداب» في عددها الثاني (1959/2). جاء في تعليق السبول (ص 53) المنشور في العدد الثالث (1959/3):

«قرأت نقد الشعر للشاعرة سلمى الخضراء الجيوسي في العدد الماضي [1959/2]، وقد علقت الناقدة على قصيدة الشاعر نزار قباني تعليقات تخرج عن مفهوم نقد الشعر المنشور بالمجلة. فلو كان العنوان «نزار قباني وعدوى أسلوبه الشعري» أو ما شابه ذلك، لما كان ثمة أي مجال لخط هذه السطور. لكنني بعد أن أعدت النظر وجدتني غير واهم قط، وأن الموضوع هو نقد القصائد. وهنا تساءلت: «ترى ألم يكن أحمد عبد المعطي حجازي حريا بأن يحظى بجزء من ستة عشر من الحديث عن القصائد؟»».

في العدد الرابع (1959/4)، ردت سلمى الخضراء الجيوسي على ملاحظات السبول، ومما جاء في ردها (ص 65-68):

في عدد «الآداب» الأخير قرأت كلمة قصيرة للسيد تيسير السبول حول نقد الشعر. استغربت منها لأمرين: الأول أن السيد السبول يفترض أن لنقد الشعر في «الآداب» مفهوما مقننا متفقا عليه، والثاني أن ما كتبته أنا في هذا الباب في العدد الذي سبقه كان خارج هذا المفهوم.

وتواصل الجيوسي ردها المفصل على تعليق السبول، وتشرح له سبب ما فعلت:

لا أريد أن يكون حديثي للسيد تيسير كله عبثا، بل على العكس، إنني أقدر حنانه وحماسه لقصيدتي أحمد [عبد المعطي] حجازي وخليل حاوي اللتين أهملتهما على رأيه، وقد وجدت نفسي مدفوعة بعوامل كثيرة لتفسير موقفي له - منها لأنني أقدر المتحمسين للشعر، ومنها لأنه يوم عتب عليّ لم يكن في كتابته لا متملقا ضعيفا ولا نزقا عنيفا، وكلا هاتين الصفتين تملآن نفسي برودا (ص 65).

وتوضح الجيوسي في ردها أنها لا تنقد القصائد التي تعتبرها ضعيفة. هذا يعني أنها اعتبرت قصيدتين لشاعرين معروفين في عصرنا الحالي هما أحمد عبد المعطي حجازي (مصر) وخليل حاوي (لبنان)، ضعيفتين، وقررت ألا تنقدهما:

ولكن عندما يكون أمامي ست عشرة قصيدة، جلها غير محمس، فما حيلتي؟ أأنقد عددا منها وأهمل الباقي؟ أأنقد القصائد الضعيفة أيضا، وهذا

ضد مبدأي؟ أم ماذا؟ لماذا لا أركز على نقاطها الإجمالية البارزة إذاً، من أخطاء عامة في الوزن في بعض القصائد، إلى فوضى في التعابير، وفوضى في المعاني[؟]

المقتطفات تشير إلى تباين الأذواق والأساليب، واختلاف في الرأي بين السبول والجيوسي على جودة القصائد التي نشرت في أحد الأعداد. على ضوء هذه الأمثلة، يجب ألا يستسهل أحد إصدار الأحكام على جودة ما ينشر في مجلة تطبق معايير جودة، مثلما تفعل «عود الند».

أما أسباب جذب مجلة كتابا أكثر من غيرها، فهذه مسألة نقاش أخرى. الكثير من الكاتبات والكتاب لهم أسباب شخصية تجعلهم يفضلون النشر في هذه المجلة وليس أخرى. لدى هؤلاء مكانة متخيلة لهذه المجلة أو تلك، تجعلهم يعتبرون النشر فيها له مردود أكبر لهم. ولا أتحدث هنا عن مردود مالي، فعندما تكافئ مجلة ماليا من تنشر له موضوعا، فإن سبب اختيار الكاتبات والكتاب لهذه المجلة واضح في هذه الحالة.



«عـود الـنـد» فــي سـطـور

- صدر العدد الأول من مجلة «عـود الـنـد» الثقافية مطلع شهر حزيران (يونيو) 2006. وصدرت شهريا عشر سنوات متالية.
- حصلت «عـود الـنـد» من المكتبة البريطانية على رقم التصنيف الدولي للدوريات في شهر تشرين الثاني (نوفمبر) 2007. الرقم الخاص بـ«عـود الـنـد» هو: ISSN 1756-4212
- شارك في «عـود الـنـد» كاتبات وكتاب محترفون ومبتدئون من الدول العربية والمهجر.
- بعد اتمام العام العاشر، وصدور 120 عددا شهريا، تقرر تحويل المجلة إلى فصلية.
- ناشر المجلة د. عدلي الهواري. له كتابان بالإنجليزية، وثمانية بالعربية، من بينها:
  - **الديمقراطية والإسلام في الأردن؛ بيروت 1982: اليوم «ي»؛ اتحاد الطلبة المغدور؛ غسّان يبتسم؛ كلمات عود الـنـد.**

www.oudnad.net